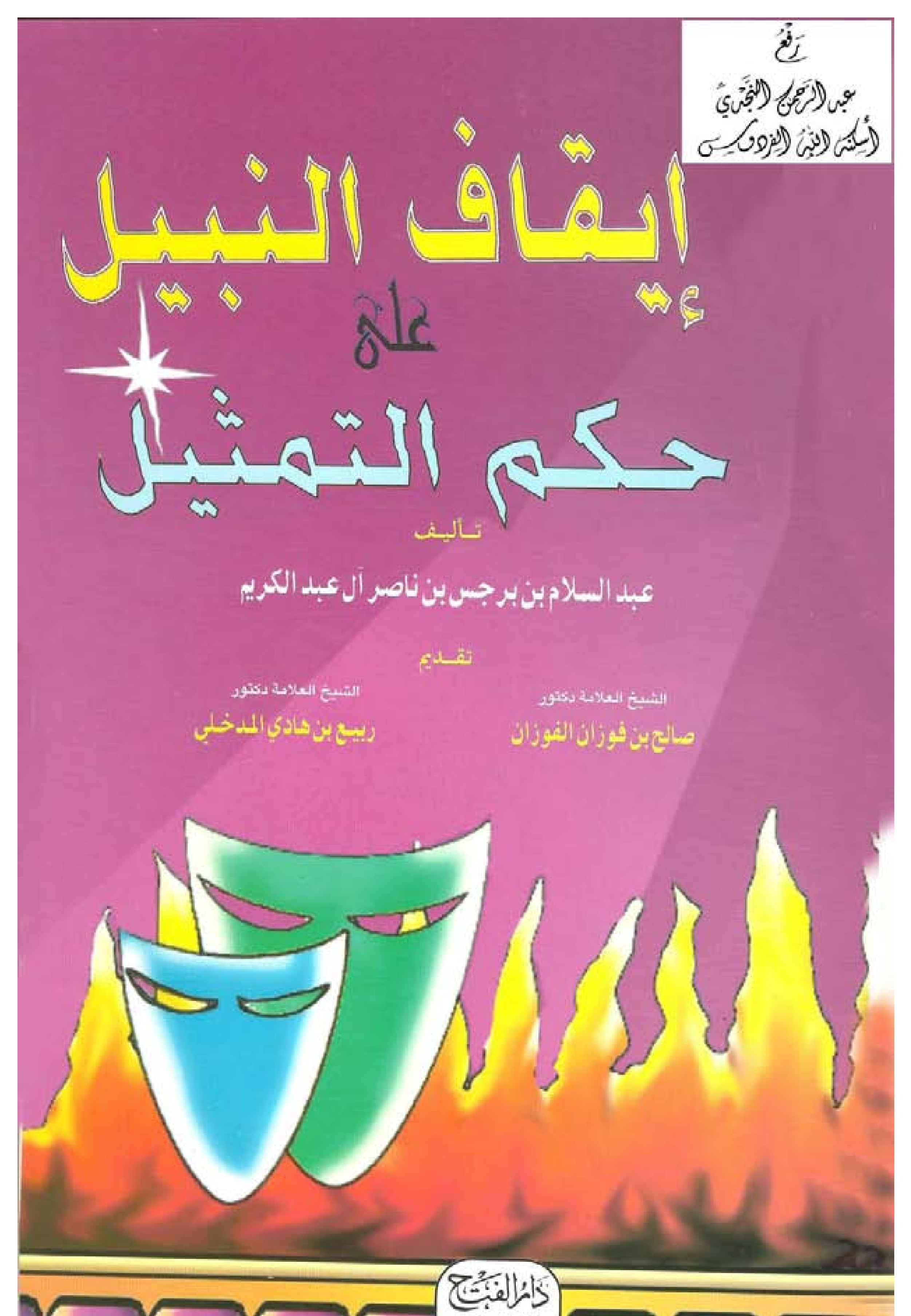

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
إيقاف النبيل
على
حكم التمثيل
تأليف
عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم
تقديم
الشيخ العلامة دكتور
صالح بن فوزان الفوزان
الشيخ العلامة دكتور
ربيع بن هادي المدخلي
دار الفتح
الشارقة

إيقاف النبيل على حكم التمثيل

تأليف

عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم

تقديم

الشيخ العلامة دكتور
صالح بن فوزان الفوزان

الشيخ العلامة دكتور
ربيع بن هادي المدخلي



الشارقة

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم : أ ع ش ١٣٩٨
تاريخ : ١٣/ ٧/ ١٩٩٥م

الناشـر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ - هاتف النشر : ٣٢٦٠١٨-٠٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦ ، ٣٢٦٨٣٨-٠٦ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة - إ.ع.م

قال علي أحمد باكثير ـ الكاتب المشهور :

«إذا لم يوجد المسرح عند العرب في جاهليتهم، فأحرى ألا يوجد لديهم بعد الإسلام، الذي قضى على تلك الوثنية، وأعاد إليهم دين التوحيد كأصفى ما يكون ...» إلخ . اهـ .

(من «الفنون والمسرح»، لأنور الجندي، ص ٢٢)

تقريظ

فضيلة الشيخ العلّامة :

د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ـ حثنا على التمسك بسنَّته وسنَّة خلفائه الراشدين، وحذرنا من محدثات الأمور ـ وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

وبعد : فقد اطلعت على الرسالة القيمة التي ألفها فضيلة الشيخ : عبدالسلام ابن برجس بن ناصر آل عبدالكريم بعنوان : « **إيقاف النبيل على حكم التمثيل**» وما أقامه من الأدلة على حرمة هذا العمل، ورد شبهات من أجازه فوجدتها ـ والحمد لله ـ رسالة قيمة، وافية في موضوعها. تعالج مشكلة قائمة، قد شغلت بال كثير من العلماء والمتعلمين.

وقد أوضح الشيخ عبدالسلام ـ جزاه الله خيراً ـ الحق فيها بما لا يدع مجالاً للشك في تحريم التمثيل، لما فيه من المفاسد الكثيرة ـ وإن زعم أن فيه مصلحة جزئية فهي مغمورة بما فيه من المفاسد الراجحة على تلك المصلحة ـ ومن المعلوم أن ما ترجحت مفسدته فهو حرام، وأن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح ـ مع أنني لا أرى فيه مصلحة قط ولكن هذا من باب التنزل مع الخصم .

وأخيراً أقول : جزى الله أخانا عبدالسلام خيراً على ما قام به من هذا

الإسهام العلمي الجيد. ونرجو أن يوفقه الله إلى إسهامات أخرى في بيان الحق، ورد الباطل، ونشر العلم النافع، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

قاله وكتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقريظ

فضيلة الشيخ العلامة :

د . ربيع بن هادي المدخلي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد وآله ، وصحبه، ومن اتبع هداه.

أما بعـد ،

فقد اطلعتُ على البحث العلمي القيم، الذي نشط له الشاب الفاضل، الغيور على دينه، الشيخ عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم. الذي وسمه بـ : «**إيقاف النبيل على حكم التمثيل**».

فسرّني حسن عرضه، وطريقة استدلاله، وإشراقة عبارته، وقوة حجته في إقامة الحق، ودحض الباطل .

ولقد سلك في هذا البحث القيم على النحو الذي أوجزته في الفقرات الآتية :

١ ـ تعرض لمعنى التمثيل، وأقسامه.

٢ ـ ولأهم أضراره، وفوائده التي يزعمها المجيزون المغالطون .

٣ـ وتعرض لنشأة التمثيل، وبين أن جذوره تمتد إلى العصر اليوناني، وتعليمات الكنيسة القديمة قبل الإسلام، كما صرح بذلك جماعة من الأدباء، استمداداً من التاريخ.

٤ ـ وضح أن المسلمين لم يعرفوا التمثيل من قيام دعوة نبينا محمد ﷺ إلى ما قبل خمسين ومائة عام .

وأنّ الغُثاء والخونة الذين توافدوا على الغرب هم الذين جلبوا هذا الداء العضال، من جملة الأدواء التي نكبوا بها الإسلام والمسلمين بدل أن يقدموا للأمة : العلوم العصرية؛ كالصناعات النافعة والاختراعات المفيدة .

٥ ـ وأن الذين نقلوا العلوم اليونانية في العصر العباسي، بما فيهم من النصارى، والمنحرفين المحسوبين على الإسلام؛ كانوا أعقل وأسلم ذوقاً، وأخلاقاً، ومروءة؛ فحين نقلوا علوم اليونان إلى البلاد الإسلامية؛ تحاشوا الأدب اليوناني والنصراني. ولعل ذلك إدراكاً منهم لما فيه من انحلال وفساد، لا يمكن أن يقبله عامة الشعوب الإسلامية؛ فضلاً عن العلماء، والعقلاء .

٦ ـ نقل المؤلف عن صاحب «تأريخ اليونان» النص الآتي :

«تكمن الأصول الأولى للمسرح اليوناني في الاحتفالات الدينية، التي كانت تقام في المناطق المختلفة في بلاد اليونان، والتي كانت تدور حول عقيدة الإله «ديونيسوس» وهو اسم آخر للإله باخوس ـ الذي كان إلهاً للحصاد، والثمار، والكروم ، وإن كان قد اشتهر بصفته إلهاً للخمر .

واليونان كانوا يقومون بهذا النوع من الاحتفالات؛ كمظهر من مظاهر الابتهاج والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة؛ إذا كان المحصول وافراً. أو كمظهر للابتهال أو التضرّع لهذه القوى الإلهية إذا قصر المحصول عن الوفاء .

ولم تكن هذه الاحتفالات بدعة اقتصرت على بلاد اليونان، وإنما عرفتها

مجتمعات أخرى، ومن بينها : مصر، وسورية، على سبيل المثال لا الحصر - أي أعياد وثنية تقام لآلهتهم المزعومة كما يفعل الوثنيون اليونانيون .

أيها الشباب المؤمن :

إن هذه المسرحيات، والتمثيليات؛ إنما هي: احتفالات، وأعياد وثنية، نقلها إلى هذه الجزيرة - التي طهرها الله بدعوة التوحيد والسنة - من تربى في أحضان «الانجليز» وبُهِرَ بحضارتهم وعاداتهم، وتقاليدهم، وأعيادهم؛ إضافة إلى ما ترعرع عليه في أحضان الصوفية، وما رضعه من خرافاتها، وأساطيرها، وموالدها، وأعيادها لأصحاب القبور، وما يرافقها من القرابين والنذور... فكيف تلقي بزمامك إلى من هذا دينه وهذه تربيته؟ كيف؟

هذا هو التمثيل : إنه مظهر من مظاهر الكفر والوثنية اليونانية .

إنه مظهر من مظاهر الابتهاج والشكر للقوى الآلهية عند الوثنيين. وأحياناً مظهر من مظاهر الابتهال والتضرع للقوى الآلهية في حالة الضراء والشدة التي تلمّ بعبّاد تلك الأوثان من اليونان، والمصريين، والسوريين، وغيرهم؛ أيام وثنيتهم .

لقد قضى الإسلام - دين التوحيد الخالص - على هذه الوثنيات قضاءً مبرماً، ومحاها محواً كاملاً من أذهان تلك الشعوب، حتى لم تعد تخطر ببالهم، فلم تذكر في كتبهم، وتواريخهم ، ولا في حكاياتهم .

ولا يبعد أن تكون **الشروط العمرية** التي اشترطها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على النصارى، ومنها : «ألا يظهروا عيد الشعانين في دار الإسلام» لا يبعد أن تكون شروطه من أهم أسباب القضاء على

التمثيليات والمسرحيات، لأنها أغرق في الضلال والوثنية من عيد الشعانين .

أفَتَرى الخليفة الراشد، وإخوانه من الصحابة الكرام ، يرفضون عيد الشعانين، المتعلق بحياة رسول كريم وهو عيسى عليه السلام، ويقرون المسرحيات والتمثيليات التي هي طقوس وعبادات للأوثان، وأغرق في الكفر والضلال من عيد الشعانين .

لقد ارتكب عبيد الاستعمار الغربي والشرقي، ودعاة التغريب والتفرنج إحياء ونبش هذا الخبث والنتن الوثني بعد أن أماته الله على يدي الخليفة الراشد، وإخوانه من الصحابة الفاتحين .

لقد جر دعاة التغريب والتفرنج الويلات والمصائب على هذه الأمة المسكينة، خصوصاً أولئك الذين يرتكبون المقحمات والفظائع باسم الإسلام، ويضفون على هذه الفظائع النكراء صفة الإسلام والإسلامية .

فاشتراكية ماركس الشيوعية أدخلوها في مسلمتهم الكاذبة الخائنة؛ فسموها الاشتراكية الإسلامية .

والتمثيليات والمسرحيات الوثنية ألبسوها لباس الإسلام، وجعلوها من شعاراتهم ، ومن لوازم دعوتهم الضالة فسموها بالمسرحيات الإسلامية، والتمثيليات الإسلامية ..

والديمقراطية الكافرة، وأساليبها من «برلمانات» و«تحزبات» و«انتخابات» و«إضرابات» و«مظاهرات» أسلموها، وأدخلوها في حيز الإسلام .

وهكذا يتلاعبون بعقول هذه الأمة. وخاصة شبابها الغر، الذي أفسدوا عقله وتصوره، وأوهموه أنهم تقدميون، وعلماء واقع، وأهل التجديد .

وما تجديدهم إلا استيراد هذه الأباطيل . وما علمهم بالواقع إلا مهازل وأساطير .

وأخيراً أقول: لقد أجاد الشيخ عبدالسلام وأفاد، وقدم أقصى ما يملكه الناصح المخلص لأمة يتلاعب بعقولها أهل الأهواء، نسأل الله أن يأخذ بنواصيهم وقلوبهم إلى الحق وإدراكه ، وإلى التمييز بين المحبين الناصحين، والمخاتلين المخادعين، إن ربنا لسميع الدعاء، والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

* * *

قاله وكتبه :

ربيع بن هادي المدخلي

١٨/٣/١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ، وصلى الله وسلم على رسول الله .

أما بعد :

فهذه هي النشرة الثانية من كتاب «**إيقاف النبيل على حكم التمثيل**» نقدمه للقراء، سائلين الله أن يطفئ به فتنة «التمثيل» التي ابتُلي بها فئام من الناس، فاتخذوا دينهم هزواً ولعباً، وقنعوا بالسيادة «الخيالية» على ردهات المسارح، ودور الحفلات. ولا ريب أن هذه الظاهرة ظاهرة سوء وبلاء، لو لم يأت في الشرع ما ينكرها، لكان العقل السليم، والفطرة المستقيمة على الصراط السوي؛ تأباها، وتترفع عنها، إذ هي علامة للفاسق في عرف المجتمعات.

وأي عاقل يرضى أن يكون أضحوكة بين الجماهير على خشبات المسرح، ينزع فوقه جلباب الحياء، ويدَّرع أفئدة الصبيان والسفهاء، وكأن المسرح أرض رفع عن واطئها القلم، فلا تكليف، ولا حساب.

وهذا يخفُّ! إذا ما قورن بما ينتهك من الجرائم، ويواقع من الكبائر؛ باسم «التمثيل الديني» على منصة الملهى .

فلكم شوهد استحلال الكفر، وفعلُه، واقتراف الذنوب والمعاصي: من كذب، ووصل شعر، ويمين غموس، واستخفاف بالدين وأهله : كل هذا

تحت مظلة «التمثيل الديني» .

ولقد حدثني من أثق به أنه شاهد تمثيلية، أقيمت في كلية شرعية ـ تصور حال نجد قبل قيام الدعوة الإصلاحية ـ فقام أحد الممثلين بالسجود لهيكل قبر، ليعلم الناس أن هذا الفعل كان سائداً في ذلك الوقت...!!!

وقد شوهد من يمثل «الملائكة» في قصة قبيحة مضمونها : أن أهل الأرض كثر فسادهم، فنزلت «الملائكة» وقالوا: يا أهل الأرض نحن أهل السماء؛ لقد آذيتمونا بمعاصيكم .....!!!

وشوهد من يمثل دور الشيطان..!! ومن يمثل دور «كارتر» و«برجنيف» و«كمال أتاتورك» في تمثيليات مِلْؤها سب للإسلام، واستخفاف بأهله، في جامعات إسلامية، بمبرر : بيان خطر الكفار على الإسلام !!!

فإلى الله المشتكى، وعليه التكلى، كيف تريد أمة بلوغ المجد وهم عن منهج السلف معرضون، وللنصارى مقلدون، ولهذه المهازل باعثون .

ولو استطردنا في ذكر ما يتعبدون الله به من هذه «التمثيليات» وأشباهها؛ لكتبنا مجلدات ومجلدات .

ثم بعد هذه الحقائق اللائحة، التي نطقت بها خشبات المسارح في الجامعات، والدور الصيفية، يخرج كتاب اسمه «حكم التمثيل في الدعوة إلى الله» ليصور التمثيل بصوة بريئة من الفحش والفسق، تلاعباً بالعقول، وتغطية للحقائق، فيقول :

«ومن أمثلة ذلك ـ أي التمثيل ـ : أن تقوم مجموعة من الشباب أمام الجمهور لتعلمهم ـ مثلاً ـ أركان الإيمان والإسلام، فيلتف بعضهم حول بعض التفاف التلاميذ حول شيخهم، ثم يدخل رجل يبدو عليه الجهل، فيسأل عن

أركان الإيمان؟ فيقول: أن تؤمن بالله، وملائكته.... إلخ» اهـ.

فيا سبحان الله: كيف أعرض الكاتب عن تلك الأمثلة التي ذكرت - وهي السائدة في عالم التمثيل - وانزوى على هذا المثال الذي لا وجود له في حياة تمثيلهم، وإن وجد فلا تتبناه إلا المسارح الفردية، التي لا يحضرها إلا قلة قليلة، ولذا لم يفدني أحد من المتعبدين لله تعالى بهذا التمثيل أنه شاهد مثل هذه الرواية. ولو وجدت لانفض الناس من حولها، ولكرهوا ورود حياضها، إذ ليس فيها أصول هذا الفن، التي هي السر في إعجاب الناس به، وفتنتهم فيه.

والذي دفعني إلى التنويه بهذه السقطة الجريئة في ذاك الكتاب؛ أن الكاتب صور «التمثيل» حال الاستدلال على تقريره، بأنه مجرد ما ذكر من الأمثلة.

ففي رده على العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني يقول:

«وقد ضربت مثالاً أعيده هنا لإيضاح الصورة: لو قام اثنان أمام الجمهور العوام، فقال الأول للثاني: السلام عليكم. فقال الثاني: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال الأول: يا أخي هل تحسن الوضوء؟ قال: نعم. قال: فهلا علمتني. قال: حسناً...»اهـ.

وأنا ألخص هنا ما أريد إيضاحه فأقول:

أولاً: إن ما صور به «التمثيل» هنا، ليس هو الصورة الحقيقية للتمثيل عند هذه الجماعة، بل ولا يشكل في تمثيلهم (٣٪).

ثانيا: إن ما ذكره ينازع في تسميته تمثيلاً، إذ قد سماه النبي ﷺ تعليماً كما في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: **«هذا جبريل جاء ليعلمكم دينكم»** والتعليم يفارق التمثيل لغة واصطلاحاً. وبسط المسألة. له موضع آخر.

ثالثاً: إذا ضمن الكاتب أن التمثيل عندهم لا يعدو ما ذكر، فأنا ضامن

لهم عدم الكلام على هذا التمثيل عندنا .

ثم قسم الكاتب «التمثيل» إلى أربعة أقسام، هي :

١ ـ «حكاية الماضين أو المعاصرين بأعيانهم» .

٢ ـ حكاية شخصيات غير معينة (كالنجار، والحداد، والمجاهد) .

٣ ـ القيام بأعمال وحركات معينة دون تعيين القائمين بها أو تسميتهم ـ ومثل لها بمسرحية الوضوء المتقدمة قبل قليل .

٤ ـ «القيام بحركات معينة صامتة» اهـ .

وقبل أن أبين مراده بهذا التقسيم أقول :

إن الأول والثاني : تقسيم صحيح .

أما الرابع فإنه داخل في القسم الأول إن كانت الحركات الصامتة حكاية للأعيان. وإن كانت حكاية لغير معين فهي داخلة في القسم الثاني . فكان جعله قسماً رابعاً من العبث .

أما القسم الثالث : فإنه لو جُرِّد من المثال لقلنا فيه ما سبق في نظيره «الرابع» لأن هذه الحركات المعينة دون تعيين القائمين بها، لابد وأن تكون حكايتها متخيلة ومختلقة ، فهذا هو القسم الثاني بعينه .

أما وقد مثل له فإننا نقول ـ مختصرين ـ : ما ذكره قسماً ثالثاً، لا نسلم بأنه تمثيل، لأننا لو سلمنا بذلك للزمنا أن نقول : إن حديث جبريل فيه طرفان: ممثلون، وهم: جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم. ومتفرجون : وهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إذ الصورة الواردة في حديث جبريل، هي نفس الصورة التي ضربها مثالاً على القسم الثالث، لا فرق .

وبعد هذا العرض الموجز نقول : إن تقسيمه التمثيل إلى هذه الأقسام انتفع

به في التخلص من فتوى العلماء في تحريم التمثيل، فإنه يأتي إلى فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، أو الشيخ صالح الفوزان، أو الشيخ الألباني؛ فيقول: هذه تتناول النوع الأول من التمثيل، وقد تتناول الثاني.... !!! وتلك : تتناول القسم الثاني فقط.... وهكذا أبطل فتوى العلماء بوجهين :

الأول : أنه ذكر أقساماً ليست من التمثيل أصلاً.

الثاني : أنه حمل كلام العلماء على غير ظاهره، وهم أحياء موجودون ، ولم يتعنَّ سؤالهم، بل نزَّل كلامهم على تقسيم لا يرتضونه في الجملة .

ولنقف وقفة قصيرة مع عرضه لفتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، يتجلى من خلالها ما ذكرنا.

قال الكاتب : «سئل الشيخ عن حكم التمثيل فقال: «إنه من الكذب، كون أنه يمثل بأنه فلان أو فلان، سواء كان طيباً أو خبيثاً، هذا من الكذب» والناظر المنصف إلى فتوى الشيخ يتبين له أن الشيخ، يعني بالتمثيل تقمص الشخصيات، وذلك في قوله: «كون أنه يمثل بأنه فلان أو فلان» وعلى هذا؛ فإنه لا يصح إطلاق القول بأن الشيخ يحرم جميع أنواع التمثيل المذكورة آنفاً» اهـ بتصرف .

أقول :.

أولاً : الشيخ عبدالعزيز لا يرى القسم الثالث تمثيلاً ، وإنما يراه تعليماً، فقد سألناه عما يذكره العلماء في مسائل الفرائض، ونحوها ـ عندما أفتى بحرمة التمثيل لكونه كذباً ـ فقال : هذا تعليم ، وليس من هذا الباب. أو كما قال .

ثانيا : فتوى الشيخ معللة، فإنه حرم التمثيل ، وقال: إنه كذب. فهذا يدخل فيه القسم الأول عندك كما ذكرت. ويدخل فيه القسم الثاني من تقسيمك.

لأن من قال : (أنا نجار، أو طبيب، أو مجاهد) وهو ليس كذلك؛ فقد كذب.

ثالثاً : تحقيقاً للأمر الثاني؛ فإني كتبت سؤالاً لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ قرئ عليه، ملخصه : أنكم حرمتم التمثيل لأنه كذب، كأن يقول الممثل: أنا فلان بن فلان. فما رأي سماحتكم فيمن مثل نفسه نجاراً، أو طبيباً، ونحو ذلك ؟

فأجاب سماحته: «لا فرق بين كونه يقول أنا فلان، أو أنا نجار، أو طبيب. الكل كذب»

إذا تبين هذا، فإن قول الكاتب «فإنه لا يصح إطلاق القول بأن الشيخ يحرم جميع أنواع التمثيل» خطأ بين، وتحميل لكلام الشيخ ما لا يحتمله، وكان الأولى بالكاتب أن يعرض تقسيمه للتمثيل، على العلماء، الذين جعل فتاويهم قيده، لينظر هل يوافقونه، أم يعارضونه .

ثم قال استكمالا لإيهان فتوى الشيخ: «بل إنه لما سئل عن تمثيل يقع بين اثنين، يسمي أحدهما نفسه عبدالله، والآخر عبدالرحمن. فيتقابلان أمام الجمهور، فيقول هذا : كيف حالك ياعبد الله ؟ ويجيب الآخر : بخير والحمد لله يا عبدالرحمن...؟

أجاب ـ حفظه الله ـ بأنه لا يرى في ذلك بأساً، فكلاهما عبدٌ لله وللرحمن»اهـ .

هكذا يختارون هذه الصور للتمثيل، إظهاراً له بمظهر البراءة. فهل ما ذكرته هو التمثيل الواقع، لتسأل عنه الشيخ ؟

وهل هذا يعتبر تمثيلاً؟ رجل يقول لآخر : كيف حالك. فيجيب : بخير...!! ثم ماذا أيها العقلاء؟

إنّ هذا تحايلٌ على العلماء، وتلبسٌ على الأتباع .

فإن قال: إنما سقته ليعلم أن هذه الحالة ليست كذباً .

فنقول : هي كذلك، يعرف هذا طويلب العلم، فكان السؤال عنها، وتدوينها هنا، ريبة، إذ استغلت في إشاعة أن الشيخ لا يحرم جميع أنواع التمثيل. فإذا ما سئل الممثلون عن هذه الأنواع التي لا يحرمها الشيخ، أجابوا بهذه «الصورة» وهم قائمون على تمثيل المعارك الإسلامية، والمؤامرات الكافرة ضد الإسلام... وهكذا. نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

كتبه

عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم

الرياض ١٤١٢/٩/٧هـ

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله، وصلّى الله وسلم على رسول الله .

أما بعــد :

فإن قضية «التمثيل»[1] قضية طال الجدل حولها، وتباينت آراء الناس فيها، فمن مجوز على الإطلاق، ومن محرم، ومن مقيد التحريم بصور، والجواز بأخرى .

وقد أحببتُ المشاركة في هذه القضية بهذا المؤلف الوجيز، مبيناً ما وقفت عليه من الأدلة المحرمة، مجيباً عما تعلق به من رأى الجواز. والله أسأل التوفيق والإعانة، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله، وصحبه أجمعين .

كتبــه

عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم

١٩/١٠/١٤١٠هـ

---

(١) كانت كتابة أصل هذا البحث في ١٠/١٠/١٤٠٣ هـ وقد بعثت بها إلى الشيخ عبد الله بن محمد الدويش ـ رحمه الله تعالى فقرأها وأمرني بطباعتها في تلك السنة . وقد عبثت يد بعض الإخوة في ذلك الأصل فزيد فيه ونقص منه وحرفت بعض كلماته فوجب التنبيه لئلا يعتمد عليه. والله الموفق .

فصل

في معنى «التمثيل» وأقسامه

التمثيل الذي سنتناوله هنا فيه معنى التصوير للشيء ومحاكاته.

قال ابن منظور في «اللسان»:

«مثّل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه... ومثلت له كذا تمثيلاً: إذا صوّرت له مثاله، بكتابة، وغيرها. وفي الحديث: «**أشد الناس عذاباً: ممثّل من الممثلين**»، أي: مصور. يقال: مثّلت - بالتثقيل والتخفيف - إذا صوّرت مثالاً. ومثّل الشيء بالشيء: سوّاه، وشبّهه به، وجعله مثله، وعلى مثاله. ومنه الحديث: «**رأيت الجنة والنار ممثلتين في قبلة الجدار**»، أي: مصورتين، أو على مثالهما». اهـ.

وقال جبران مسبعود في «الرائد»:

«مثّل تمثيلاً، وتمثالاً: الشيء بالشيء: شبّهه به، وجعله مثله.

الرواية: عرض مشاهدها على «المسرح».

دوراً في الرواية أو غيرها: عرض شخصية أحد أبطالها، وتشبّه به في أعماله وأحواله». اهـ[1].

* وقد وضع أصحاب «المعجم الوسيط» ضابطاً للتمثيل في الاصطلاح؛

---

(١) طبعة دار الملايين: ص ١٣٢٤.

فقالوا :

«عمل فني منثور أو منظوم، يؤلف على قواعد خاصة، ليمثِّل حادثاً حقيقياً أو مختلقاً، قصداً للعبرة» اهـ .

ويمكن أن نعرف «التمثيل» ـ أيضاً ـ بأنه :

«محاكاة شخص لآخر حقيقي أو خيالي قصداً للعبرة، بتنظيم مسبق أمام جمهور من الناس، حضروا لرؤيته» .

* **والممثل هو** : القائم بأعمال التمثيل أمام الجمهور من الناس .

قال نجيب اسكندر في «معجم المعاني» :

ممثل «اللفظة الاصطلاحية : مشخص (مشخصاتي) استعملتا أول ظهور التمثيل» اهـ .

وقال في «المعجم الوسيط» ـ إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة : «الممثل هو من يزاول مهنة التمثيل» اهـ .

* **والهدف من التمثيل** : التأثير على الآخرين بخير أو شر .

وقد عدد الكاتبون : أهدافه وفوائده، كما ذكر بعضهم مساوئه وأضراره.

فمن الفوائد التي ذكرت له [١] :

١ ـ وسيلة تعليمية .

٢ ـ أداة تسلية ولهو، وقضاء الأوقات، وملء الفراغ .

٣ ـ وسيلة لطرح قضايا المجتمع، وحلها، ونقل العادات الغربية إليه .

٤ ـ بث الوعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في المجتمع .

---

(١) ينظر الشريعة الإسلامية والفنون لأحمد مصطفى القضاة : ص ٣٤٦ .

ومن أضراره [1] :

١ ـ الوقوع في حبال الشيطان، والتلفظ بما يسخط الله، والقيام بأعمال الكفرة والمشركين ، والرضى بالكفر والفساد .

٢ ـ نشر الفجور، وبث الرذيلة، وإشاعة الفساد، وإيجاد عقد جنسية، والرضى بالمنكر، والتعويد على الحرام، وإثارة الشهوة .

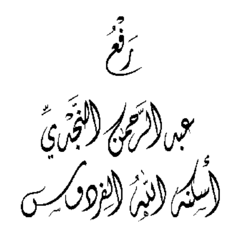
٣ ـ تُنمي عند المشركين ـ أحياناً ـ الغرور والكبرياء، وتنمي بعض العادات السيئة، ويتمرس الممثل على صفات سلبية، كالخداع، والكذب، وتقمص شخصيات الآخرين، ثم الاستهزاء بهم، وقد يصبح الممثل مع الزمن مستهزئاً بالقيم .

٤ ـ قلب حقائق التاريخ ـ أحياناً ـ وتشويه شخصياته، واعتبار الأسطورة حقيقة مسلمة عند المتفرج..

*   *   *

---

(١) ينظر الشريعة الإسلامية والفنون لأحمد مصطفى القضاة .



أقسام التمثيل
من حيث موضوعه

ينقسم التمثيل من حيث موضوعه إلى قسمين :

القسم الأول - التمثيل الديني :

وتسميتنا له تمثيلاً دينياً لا تدل على أمر الدين به، ولا إباحته له. ولكن تمشياً مع عرف الناس، حتى يتضح الحكم الشرعي الذي نحن بصدده في شأن هذا التمثيل .

قال الأديب أحمد شفيق باشا - رئيس الديوان الخديوي ووكيل الجامعة المصرية - في كتابه «مذكراتي في نصف قرن» ٧٧/١ عندما تكلم على الحياة الاجتماعية في عهد الخديوي إسماعيل :

«الحفلات الدينية : وفي تسميتها : حفلات دينية، مجاز ارتكبناه تمشياً مع الاعتقاد العام، وإن كنا نرى أنها ليست من الدين في شيءٍ [إلا في المصدر الأصلي في إقامتها][1] . اهـ

وقال عبدالله بن الصديق في رسالته «إزالة الالتباس عما أخطأ فيه كثير من الناس» ص ٤١ : «وكون الجماعات الدينية يفعلونه - أي التمثيل - لغرض ديني كما يزعمون لا يخرجه عن وضعه الأصلي، وحكمه الأساسي، بل إدخاله في الدين عدوان منهم، لا يجوِّزه الشرع...». اهـ .

---

(١) يريد هنا : سلامة نية القائمين بها، والله أعلم .

القسم الثاني - تمثيل غير ديني :

ويشمل ما عدا القسم الأول، كالتمثيل الاجتماعي، والجنسي والتربوي المعاصر.... إلخ .

وهذا القسم لا نطرقه بالبحث، إذ الخلاف القائم على أشده إنما هو في القسم الأول ولئلا يطول البحث ويتشعب، ولأن إسقاط التمثيل «الديني» يقتضي إسقاط غيره من باب أولى .

*　　*　　*

أقسام التمثيل
من حيث صوره

ينقسم التمثيل من هذه الحيثية إلى قسمين :

القسم الأول
تمثيل واقعة حقيقية
ماضية كانت أو معاصرة

كتمثيل فتح قسطنطينية، وحروب الصليبيين، ومؤامرة «اليهود» لاحتلال الأراضي العربية، ودور كمال أتاتورك في إسقاط الخلافة العثمانية .

القسم الثاني
تمثيل الخيال

وذلك بأن يؤلف أحد الكتاب رواية لا وجود لها خارج الذهن . فتُوكَلُ إلى جماعة ليخرجوا هذه الرواية بأعمالهم على منصة «المسارح» فيتقمص كل شخص منهم دوراً تكتمل به الرواية. سواء قام به جامعاً بين القول والعمل، أو مقتصراً على العمل ـ وهو ما يسمى بالتمثيل الصامت ـ .

أما تعليم الأمور الشرعية عن طريق المحاورات فليس تمثيلاً، وإنما هو وسيلة للتعليم قام الدليل الشرعي عليها، مع مراعاة أن استخدامها إنما يكون غالباً مع جاهل أو مبتدئ، أو صغير، فإن الشارع جاء بها في مواضع يسيرة ـ تعليم

جبريل، تعليم الصلاة ـ وذلك خشيةً من النسيان لهذه الأمور الأساسية في الدين، مع حداثة العهد بالإسلام ... وغير ذلك من المقاصد .

ولذا نرى هذه الظاهرة التعليمية تقلصت فيما بعد ، لاستقرار هذه الأمور عند الخاص والعام، الصغير والكبير، الذكر والأنثى .

على أن المنهج النبوي في العموم : التعليم بالقول، والمحافظة عليه بالعمل، كما هو متقرر في كتب السنة النبوية .

فصل

في نشأة التمثيل

* تمتد جذور التمثيل إلى العصر اليوناني، وتعليمات الكنيسة النصرانية القديمة ـ قبل الإسلام ـ كماصرح بذلك جماعة من علماء الأدب .

أما المسلمون فلم يعرفوا هذا «العمل» منذ قيام دعوة نبينا محمد ﷺ إلى ما قبل خمسين ومائة عام ـ تقريباً ـ يوم انفتح الشرقيون على علوم الغرب وحضارته وثقافته، وعندئذ اكتسبوا هذا «العمل» منهم، وتعلموا أصوله وقواعده في مدارسهم، ثم نقلوه إلى بلادهم الإسلامية، ليكون نواة لما نشاهده الآن من تمثيليات «دينية» وغير دينية .

قال «بطرس البستاني» في كتابه «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث» :

«لم يترك العرب في الدولة العباسية علماً من العلوم اليونانية إلا نقلوه، واطلعوا عليه، واشتغلوا به؛ ما خلا الأدب، فإنهم استغنوا بما لديهم، فلم تصل إليهم ملاحم اليونان، ولا قصصهم التمثيلية .

ولو قدر لها الوصول؛ لما كان الحكم الإسلامي يومذاك يعمل لإحياء

التمثيل، شأن الكنيسة المسيحية في القرون المتوسطة؛ لأن التمثيل عندهم تزوير لعظماء الرجال...» اهـ [١].

وقال صاحب «تاريخ اليونان» :

«تكمن الأصول الأولى للمسرح اليوناني في الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في المناطق المختلفة في بلاد اليونان، والتي كانت تدور حول عقيدة الإله ديونيسوس Dionysos (وهو اسم آخر للإله باخوس Bakkhos) الذي كان إلهاً للحصاد والثمار والكروم، وإن كان قد اشتهر بصفته إلهاً للخمر.

واليونان كانوا يقومون بهذا النوع من الاحتفالات كمظهر من مظاهر الابتهاج والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة، إذا كان المحصول وافراً، أو كمظهر للابتهال أو التضرع لهذه القوى الإلهية إذا قصر المحصول عن الوفاء المنتظر.

ولم تكن هذه الاحتفالات في الحقيقة بدعة اقتصرت على بلاد اليونان، وإنما عرفتها مجتمعات أخرى من بينها مصر وسورية على سبيل المثال لا الحصر.

ففي مصر كانت تقام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول، تدور حول الإله أوزيريس (الذي ارتبط اسمه بالحبوب والحصاد) تمجد عودته للحياة بعد أن قتله أخوه الإله الشرير «ست». وفي هذه الاحتفالات كانت القصة الكاملة تمثل في شكل ديني شعبي تبين كيف قتل «ست» أخاه «أوزيريس»، ثم كيف سعت الإلهة إيزيس (زوجة أوزيريس) بكافة الطرق حتى استعادت جثة زوجها وأعادت إليه الحياة، وكيف تم الانتقام من «ست».

وفي سورية كانت تقام احتفالات مماثلة تدور حول أسطورة مماثلة كذلك،

(١) ط ٣ ـ مكتبة : دار صادر، بيروت : ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

مؤداها أن الإله بعل (أو آذون أدونيس) قد قتله خنزير بري، ثم حاولت زوجته الإلهة عشتار (أو عشتروت) إعادته للحياة حتى تعود الحياة إلى الطبيعة التي ماتت في الشتاء.» اهـ .

وقال أحمد حسن الزيات، في كتابه «تاريخ الأدب»[1] :

التمثيل بمعناه الحديث لم تعرفه اللغة العربية إلا في أواسط القرن الماضي . وكان «اللبنانيون» أسبق الشرقيين إلى اقتباسه، لتخرجهم في المدارس الأجنبية، ودراستهم للآداب الفرنجية .

وأول من فعل ذلك منهم (... ...) فقد مثل أول رواية عربية : سنة ١٨٤٠م .... إلخ [2] .

هذا هو كلام أهل الاختصاص في إرجاع هذا «العمل» إلى مصدره الأول.

* * *

* أما علماء الشرع فلهم نصيب ـ أيضاً ـ في تبيين أصله ومنشئه .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في التعريف بعيد «الشعانين» عند النصارى:

«هو أول يوم أحد في صومهم، يخرجون فيه بورق الزيتون ونحوه. ويزعمون أن ذلك مشابهة لما جرى للمسيح ـ عليه السلام ـ حين دخل بيت المقدس ... وكان اليهود قد وكلوا قوماً معهم عصي، يضربونه بها، فأورقت تلك العصي... فعيد «الشعانين» مشابهة لذلك الأمر. وهو الذي سمي في شروط

---

(١) ص ٤٢٧ . ط الرسالة عام ١٣٧٤ هـ .

(٢) وللمزيد من هذه المعلومات ينظر : «الأدب اليوناني القديم» للدكتور علي عبد الواحد وافي . ط دار المعارب بمصر . ص ١٣٢ ـ ٢٤٥ ، و«النقد الأدبي» للدكتور بدوي طبانة . ص ١٤٢ .

عمر ـ رضي الله عنه ـ وكتب الفقه: أن لا يظهروه في دار الإسلام» . اهـ[1].

وقال عبدالله بن الصديق في رسالته «إزالة الالتباس» :

«التمثيل لا يعرف إلا عن طريق الأوروبيين، وهم الذين أظهروه في الشرق» . اهـ .

وقال أحمد بن الصديق في رسالته «إقامة الدليل على حرمة التمثيل» :

«فهو مما ابتدعه الكفار» . اهـ .

وقد علم مما تقدم أن «التمثيل» نشأ عند اليونان، فالنصارى، فالحضارة الغربية الكافرة، وأنه من خصائصهم، وشعائرهم. وأن العرب لم يعرفوه إلا بعد الانفتاح على العالم الغربي، والإعجاب بحضارته، وتقييم الأفعال والأخلاق بميزانه .

• **يوضح زكي طليمات [2] أسباب عزوف المسلمين عن فن «التمثيل»، فيقول :**

«إن من أبرز الأسباب التي تصرف الذهنية الإسلامية عن الأخذ بأسباب التعبير عن طريق «المسرحية» للدعاية والتفسير هو: أن العقيدة الإسلامية على وضوح أركانها، وجلاء تعاليمها، ومنطق أحكامها؛ عقيدة لا يشوبها لبس، ولا غموض، يتطلبان تحايلاً في التفسير... إلى أن قال :

مثل هذه العقيدة القوية في معنوياتها، البسيطة في شعائرها، القائمة على

---

(١) الاقتضاء ١/٤٧٨ .

(٢) زكي طليمات، وعلي باكثير ـ اللذان نقلت عنهما ـ من كُتَّاب التمثيلية العربية، وليسا من العلماء والكلام المنقول عنهما هو في محاولة تفسير السبب المانع للعرب من إحياء هذا الفن اليوناني. وهناك تفسيرات لذلك عند الأدباء العصريين كثيرة، ولكن المتأمل يرى أن ما ذكره الكاتبان هو أرجى الأسباب وأقر بهما من الصواب . ينظر: «القصة في الأدب العربي » لمحمود تيمور ص ٦٢ مبحث لماذا لم يعرف العرب المسرح ؟.

مناهضة كل مظهر من مظاهر تعدد الأرباب، وما يتصل به من فنون السحر، لإحياء طقوسه، ومناسكه؛ لا يمكن أن تتمخض عن فن تمثيلي». اهـ.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن العرب بطبيعة عقلهم ينظرون إلى الكليات؛ عرفنا إلى أي مدى نجد التباين الضخم بين الأدب العربي، والآداب الأجنبية في مجال القصة والمسرح». اهـ . نقلاً عن كتاب «الفنون والمسرح» لأنور الجندي ص ٢٠ - ٢١ .

ويقول علي أحمد باكثير معللاً عدم وجود فن التمثيل عند العرب :

«إذا لم يوجد المسرح عند العرب في جاهليتهم، فأحرى ألا يوجد لديهم بعد الإسلام، الذي قضى على تلك الوثنية، وأعاد إليهم دين التوحيد كأصفى ما يكون. وتقديس الأشخاص من مظاهر الوثنية، والإسلام ينهى عن ذلك نهياً تاماً، مما أدى إلى عدم ظهور «الدراما» لأن نشأة «الدراما» في عهودها الوثنية كانت قائمة على تقديس من كانوا ملوكاً، أو أبطالاً، ثم ألهوهم بعد وفاتهم» . اهـ (١) .

قال أنور الجندي :

«وبالجملة فقد كانت هذه الفنون المختلفة، ومنها «القصة» و«المسرح» دخيلة على الأدب العربي، والفكر الإسلامي، لأنها نتائج مجتمعات أخرى، وقائمة على ظروف وأوضاع لم يعرض لها المجتمع الإسلامي القائم على روح التوحيد الخالص، والذي يعتبر الأخلاق جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الدينية» . اهـ (٢) .

---

(١) فن المسرحية - علي أحمد باكثير ص ٢٢. وقد نقله عنه أنور الجندي في كتابه «الفنون والمسرح» بتصرف ص ٢٢ وهو المثبت هنا .

(٢) الفنون والمسرح ص ٢٣ .

فصل

وقد رمى جماعة من المستشرقين : الأدب العربي بالتأخر، لعدم وجود فن «التمثيل» فيه، مما أثار نزعة عرقية عند أدباء العرب، فراحوا ينبشون الكتب، بغية الحصول على وثيقة «تمثيلية» عند المتقدمين، يرفعون بها ما عابهم به المستشرقون [1] .

ولكنهم لم يظفروا بنص واحد يفصح عن وجود «التمثيل» بأصوله الحاضرة عند المسلمين، بينما وجدوا ما يعتبرونه نواة للتمثيل عند العرب، وفيما يلي ذكر بعض ذلك، لرفع اللبس، الذي قد ينجم عن قولهم : «إن لهذا التمثيل أصلاً عند المسلمين» .

فمن ذلك ما ذكره أحمد بن الصديق في «جؤنة العطار» ج ٧/١ نقلاً عن «العقد الفريد»: «أن بعض الصوفية في زمن المهدي العباسي كان يصعد تلاً ثم يقول : ما فعل النبيون...؟ أليسوا في أعلى عليين... ثم يقول : هاتوا أبا بكر الصديق. فيجاء بغلام، ويجلس بين يديه. فيقول : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية ... ثم يقول : اذهبوا به إلى أعلى عليين ... وهكذا يأتي بكبار الصحابة والخلفاء، ويحاكم كلا منهم، ويقضي فيه قضاءه اهـ بتصرف .

وهذه القصة لا تدلّ على وجود «التمثيل» عند العرب، لوجوه :

أولاً : من ذكرها ـ وهو ابن عبد ربه ـ فيه تشيع شنيع. والقصة فيها سب لمعاوية ـ رضي الله عنه ـ فلا يبعد أن ذلك من اختلاق الشيعة .

---

(١) أشار إلي ذلك الدكتور يوسف عوض في مقدمة ترجمته لكتاب «لاندو» (تاريخ المسرح العربي). ص٥ ط دار القلم بيروت .

ولما تكلم صاحب «العقد» على خالد بن عبدالله القسري، قال فيه ابن كثير:

«وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح، لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع، ومغالاة في أهل البيت... » اهـ[1].

ثانياً: على تقدير ثبوتها في ذاك الزمن، فإنها تصرف فرد صوفي، لا يجوز أن ينسب عصره إلى ذلك الفعل لمجرد فعله، لاسيما وأنه لم ينتشر. وعند الصوفية ما هو أحط من هذا الفعل، يعرفه من نظر في سيرهم. وما أحسن ما قاله عمر الدسوقي في كتابه «المسرحية» على هذه القصة:

«ويذكرنا ما كان يفعله هذا الصوفي ... بالمسرحية الأخلاقية التي عنيت بها الكنيسة». اهـ[2].

ثالثاً: لو أن هذه القصة ـ على تقدير ثبوتها ـ بلغت العلماء وأهل الفضل لأنكروها ـ قطعاً ـ لما فيها من المنكرات، كجعل هذا الصوفي نفسه في منزلة الربّ ـ تعالى وتقدس ـ وسب الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ وغير ذلك.

فهذه أوجه فيها نفي وجود التمثيل عند العرب بهذه القصة، وفيها إبطال الاستدلال بهذه القصة أو الاستئناس بها على التمثيل ـ إن صحت ـ.

ومما ذكروه أيضاً؛ ما يسمى «خيال الظل» وهو نوع من أنواع اللهو بالدُّمى، والدُّمى جمع دُمية، وهي: الصنم[3]. وهي

---

(١) البداية والنهاية (٢١/١٠).

(٢) المسرحية ـ عمر الدسوقي ص ١٦. ط دار الفكر العربي.

(٣) ينظر اللسان ١٤٣/٢. ط المعارف المصرية.

تشبيهة بلعب الأطفال المجسمة الآن .

وهي ثلاثة أنواع :

الأول : الدمى التي تحرك بالأسلاك .

الثاني : الدمى التي تحرك بالأيدي .

الثالث : خيال الظل [1] .

وقد عرّف «لاندو» خيال الظل فقال :

«هو نوع من العروض المسرحية تعتمد على تسليط الظلال على شاشة، تظهر الأشكال أمام المشاهدين» اهـ .

وقال العلامة أحمد تيمور في كتابه «التصوير عند العرب» :

«تماثيل خيال الظل : لعبة معروفة، تتخذ شخوصها من جلود، وتحرك بعصي من وراء ثوب أبيض مشدود، فيظهر خيالها فيه .

ويقال : إن أصلها من لعب الهند القديمة .

وأقدم ما وصل إليه علمنا عن اشتغال العرب بها؛ أنها كانت من ملاهي القصر بمصر، مدة الفاطميين....» . اهـ .

وترجع أقدم نصوص «خيال الظل» ـ عند العرب ـ إلى أواخر القرن السابع الهجري ، حيث كتب الطبيب المصري محمد بن دانيال (٦٤٧هـ ـ ٧١٠ هـ) ثلاث روايات بالشعر والنثر المسجوع. أولها : «طيف الخيال»، وثانيها : «عجيب وغريب» وثالثها : «المتيم» .

قال الكاتب «لاندو» عن رواية «عجيب وغريب» :

---

(١) تاريخ المسرح العربي ـ تأليف «لاندو» ترجمة يوسف عوض . ص ١٩ .

«وفي هذه المسرحية ليس هناك حبكة مفتعلة، وإنما تدور المسرحية حول مواقف من حياة الأشخاص، مما يذكرنا بقصص المقامات والقصص الشعبية». اهـ[1].

فما كتبه ابن دانيال لم يُمثل على مسرح، وإنما هو محفوظ في القرطاس، شأن «المقامات الأدبية» و«الروايات القصصية» ذلك الوقت.

ومما يجدر إيراده هنا؛ ما ذكره السخاوي في كتابه «التبر المسبوك» في حوادث شهر ذي القعدة من سنة ٨٨٥ هـ حيث قال:

«وفي يوم الثلاثاء العشرين منه حرَّق السلطان ما مع أصحاب «خيال الظل» من الشخوص، ونحوها، وكتب عليهم قسائم في عدم العود لفعله.

ونعم الصنيع، جُوزي خيراً» اهـ كلام السخاوي[2].

وفي «درر الفوائد المنظمة» للجريري: «أن أحد السلاطين حمله معه، لما ذهب إلى الحج سنة ٧٧٨هـ، فأنكر الناس ذلك عليه». اهـ[3].

وقد ذكر بعض المؤرخين بيتين من الشعر ورد فيهما ذكر «خيال الظل» هما:

رأيتُ خيال الظل أكبر عبرة
لمن كان في علم الحقيقة راقي

شخوص وأشباح تمر وتنقضي
الكل يفنى والمحرِّك باقي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «التبر المسبوك في ذيل السلوك» ص ٣٥٣ ط الكليات الأزهرية وقد أفاد ذلك العلامة أحمد تيمور في كتابه «التصوير عند العرب» ص ٨٥، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

(٣) بواسطة «التصوير عند العرب» ص ٨٥.

وقد اختُلِف في نسبتها، فنسبها الأتابكي (٨٧٤هـ) في «النجوم الزاهرة» (١٧٦/٦) إلى ابن الجوزي (٥٩٧هـ) .

ونسبها المرادي (١٢٠٦هـ) في «سلك الدرر» (١٣٣/١) إلى الإمام الشافعي (٢٠٤ هـ) .

وعلى كل فإن نسبة البيتين لأحدهما تحتاج إلى توثيق، ولا أظن ثبوتها عنهما، وذلك لأن «خيال الظل» بمعناه الذي نقل إلينا فيه منكر متفق على تحريمه هو الصور المجسمة (الأصنام الصغيرة) وينزه الإمام الشافعي، وابن الجوزي عن ضرب العبر بذلك .

والناظر في نسبة كثير من المقطوعات الشعرية، المنثورة في كتب الأدب والتاريخ، يرى عجباً من اضطراب النسبة إلى قائل البيت، حتى أن البيت الواحد لينسب إلى أربعة أو خمسة، مما يدفع الباحث إلى عدم الجزم بنسبته لواحد بعينه .

ومما ذكروه ـ أيضاً ـ أصلاً للتمثيل : فن القصة. فإنها موجودة عند المتقدمين ...

وحتى لا أطيل في الكلام عن فن القصة، اكتفي بنقل كلام لأنور الجندي في كتابه «الفنون والمسرح» تحت عنوان : (القصة فن دخيل) قال :

«ولا شك الآن أن هدف القصة في الآداب الغربية هو : إعطاء الشعوب جرعة من الخيال، للتعويض عن الواقع، وأن القصة الخرافية الوثنية هي اللذة الكاذبة، التي تعطي الوهم بدلاً من إعطاء الحقيقة .

أما المسلم فإنه لا يحتاج إليها، لأنه يعيش في جوٍّ من الوضوح والصراحة بين أوامر الدين، ونواهيه .

لقد عرف الأدب الإسلامي العربي «الصدق» القصصي فيما روى القرآن من قصص ، وما وجَّه إليه الفكر من التحرك داخل إطار الواقع، لا يغرق في إدخال الشر والإباحة .

ولذلك فقد كان الإسلام حريصاً على أن يعيش المسلم في واقعه، وأن لا يتخذ وسائل الخداع الكاذبة المخدرة سبيلاً إلى إخراجه إلى عالم الأوهام .

ولقد قدم القرآن الكريم للمسلم القصة الصادقة بعيداً عن الأسطورة والخيال الوثني، والوهم ... ومازال مفهوم القصة الإسلامي في اللغة العربية وهو: الإخبار بالواقع المجرد، وتتبع آثار الحقيقة، ولا يفهم منه تأليف الحكايات، أو تلفيق الوقائع، أو اصطناع الأخبار المكذوبة التي تصدر عن الكبت والظلم ...

قال: ومن هنا فإن النقد الأدبي الإسلامي المصدر يرفض أمثال قصص «شهر زاد» و«ألف ليلة وليلة» وغيرها من الأساطير، لأنها لا تمثل مفهوم الإسلام الصحيح .

وغاية ما يقال في هذا : إن الإسلام عزل المجتمع الإسلامي عن الإباحيات والخياليات المغرقة في الخرافات، وطبع الفكر الإسلامي، والمجتمع بطابع التوحيد والفطرة، والواقعية، بعيداً عن المغالاة، أو الإسراف.

أما المسرح فإنه دخيلٌ وافدٌ، وليس فنا أصيلاً لا في الأدب العربي، ولا في المجتمع العربي الإسلامي». اهـ[1] .

هذا وإنّ هناك وقائع ذكرت، لتقرير وجود نواة «التمثيل» عند العرب، غير ما ذكر ، إلا أنني أذكر خلاصة خرج بها الأستاذ عمر الدسوقي - رئيس قسم

---

(١) الفنون المسرحية - أنور الجندي - ص ١٧ - ١٩ . ط دار الإصلاح .

الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم ـ في كتابه «المسرحية ـ نشأتها وتاريخها وأصولها»، بعد أن عرض ما يدل على وجود أصول التمثيل عند العرب، قال :

«ومهما يكن من أمر، فإن المسرحية الحديثة ـ كما عرفتها أوروبا ـ لم تدخل مصر إلا بعد عصر النهضة، وبعد اتصالها بالأدب الغربي». اهـ (١) .

وهذا الذي خرج به هذا الأستاذ، هو الحق الذي لا مرية فيه. وهو الذي لا يليق بالمسلمين ولا بالعرب سواه .

قال الدكتور محمد يوسف نجم ـ رئيس دائرة اللغة العربية وآدابها وأستاذ الأدب العربي الحديث في الجامعة الأمريكية ببيروت :

«المسرح بمعناه الاصطلاحي الدقيق، فن جديد، ولج باب حضارتنا في النهضة الحديثة، التي أعقبت الحملة الفرنسية على مصر. وإذا أردنا الحديث عن المسرح، كفن له أصوله وأدبه، فعلينا أن نسقط من حديثنا، ألوان الملاهي الشعبية، التي قد تحوي مشابه من هذا الفن ولكنها تختلف عنه اختلافاً كبيراً، إذ لابد من التحديد الدقيق، الذي يهيئ لنا تمييز هذا الفن عن غيره من ألوان التسلية الشعبية، كخيال الظل والقره قوز وأعمال المقلدين والشعراء الشعبيين؛ فمثل هذه الألوان، لا تندرج في سجل هذا الفن، وإن حوت بعض عناصره الشكلية». اهـ (٢)

وقد قرأت في الفصل الماضي ما قاله جماعة من أدباء العرب ـ نصارى ومسلمين ـ عن نفي وجود هذا الفن بصورته الحالية ـ دينية كانت أو غيرها ـ عند المسلمين إلى عصر النهضة الأدبية الحديثة المهجنة .

وأخيراً أختم هذا الفصل بما كتبه محمد السنوسي (١٣١٣هـ) في «الرحلة

---

(١) المسرحية ص ١٨ ـ ط دار الفكر العربي . (٢) المسرحية في الأدب الحديث ص ١٧ . ط دار الثقافة .

الحجازية» له، عندما تكلم عما شاهده من «التياترو» ـ التمثيل ـ في بلاد النصارى، فقال ـ وهو لا يرى مانعاً من إقامة التمثيل :

«قلت : وبالوقوف عند حد الصدق، وسلامة القصد، لم يبق مانع في الحكاية بالمثال في المسارح .

هذا إن نظرنا إلى مجرد العمل، أما إن نظرنا إلى ما يصحبه من الاجتماع الذي لا ينبني إلا على النساء والغلمان من اللاعبين المتفرجين. **ونظرنا إلى أنه عمل جاهلي في الأصل، نصراني في الحالة الراهنة**؛ فأصول شريعتنا الإسلامية تمنعه بدون نزاع .

وكذلك تشخيص الروايات للسخف مما نُهيَ عنه. وفي الحديث : «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك منه ويل له ويل له**». وهو من اللغو المجتنب لا محالة». اهـ (١) .

فصل

والمقصود بكتابة هذه الوريقات بيان الحكم الشرعي، للتمثيل «الديني» دون غيره من أنواع التمثيل .

وقد أفتى بحرمة إقامة التمثيل المسمى بـ «الديني» جماعة من العلماء، استناداً على ما جاء في كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لما يقوم بالتمثيل من المخالفات الشرعية، والأعمال المنهية، كما ستراه في العرض الآتي ـ إن شاء الله .

ومن نظر إلى التمثيل، وعرف حقيقته، ثم نظر إلى أدلة الشرع، علم أن

---

(١) الرحلة الحجازية ج ١ / ١٥٩ .

هذا العمل مشتمل على محرمات ومنكرات، وربما مكفرات ومخرجات، لا يليق بمؤمن انتهاكها وهو مقر بخطئه، فضلاً عن انتهاكها بزعم أن الشرع يؤيده ويعضده .

وقبل الشروع في ذكر الأدلة على حرمة هذا العمل، والإجابة على شبه المخالف، أذكر بعض العلماء الذين قرروا حرمته، وغلظوا فيه، حتى يعلم أننا لهم تابعون، على طريقهم سائرون .

فمنهم الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .

ومنه الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني .

ومنه الشيخ : عبدالرزاق عفيفي .

ومنهم الشيخ : حماد الأنصاري .

ومنهم الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان .

ومنهم الشيخ : ربيع بن هادي المدخلي .

ومنهم الشيخ : بكر بن عبدالله أبو زيد .

ومنهم الشيخ : عبدالمحسن العباد .

ومنهم الشيخ : حمود بن عبدالله التويجري .

ومنهم الشيخ : صالح بن عبدالرحمن الأطرم .

ومنهم الشيخ : عبدالله الدويش .

ومنهم الشيخ : مقبل بن هادي الوادعي .

ومنهم الشيخ : عبدالرحمن عبدالخالق .

ومنهم الشيخ : عبدالله بن حسن بن قعود .

ومنهم الشيخ : عبدالرحيم الطحان .

ومنهم الشيخ : محمد بن عبدالله الحكمي .

فصل

الدليل الأول على تحريم التمثيل

أن «التمثيل» شعيرة من شعائر الوثنية اليونانية، والكنيسة النصرانية، يقوم بها أولئك تقرباً إلى آلهتهم، وهؤلاء إحياء لسيرة عيسى بن مريم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم - كما تقدم هذا قريباً.

وما دام أن الأمر كذلك، فإن إقامة هذه «التمثيليات» موروث عنهم، ومقتبس من طقوسهم وشعائرهم.

أما المسلمون من لدن زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى وقت قريب، فإنهم لم يقيموها، لا تعبداً، ولا عادة.

بل لما وفد إلينا التمثيل من البلاد الغربية، وقام أحد المعجبين بهم، بإنشاء مسرح للتمثيل بدمشق، عرض عليه بعض الروايات الغنائية، أنكر عليه بعض الشيوخ إتيانه بهذه البدعة، وشكوه إلى حكومة «الأستانة» فمنع من الاستمرار في هذا العمل [1].

ومن القواعد المقررة، والأمور المسلمة، أن مخالفة الكفار في تقاليدهم وعاداتهم مطلب شرعي، ومقصد إسلامي، فكيف بعباداتهم وشعائرهم؟

---

(١) ينظر «الأعلام» للزركلي ١/٢٤٨، أفاد ذلك العلامة بكر أبو زيد.

وقد ثبت أن أصل «التمثيل» شعيرة من شعائرهم، وهو الآن عادة من عاداتهم، فيجب على المسلم الابتعاد عنه، تديناً، لما في ذلك من مخالفتهم ومنابذتهم .

وقد أجمع العلماء على تحريم مشابهتهم في عباداتهم، وشعائرهم .

بل قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن الصلاة لله في وقت عبادة الكفار، قطعاً لمادة التشبه، وتنويهاً ببشاعة جرمها .

قال تعالى :

﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ [المائدة : ٥١] .

وقال تعالى :

﴿ **فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا** ﴾. [التوبة : ٦٩]

وفيها التوبيخ لمن تشبه بأهل الكفر والفسوق في شيء من قبائحهم ومنكراتهم .

وفي المسند وسنن أبي داود عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**ومن تشبه بقوم فهو منهم**» .

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية : «وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، كما في قوله تعالى :﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾» [المائدة : ٥١] .

ثم قال شيخ الإسلام :

«**وبكل حال** : يقتضي تحريم التشبه، بعلة كونه تشبها .

والتشبه : يعم من فعل الشيء لأجل أنهم فعلوه . وهو نادر .

ومن تبع غيره في فعل، لغرض له في ذلك، إذا كان أصل الفعل مأخوذاً عن ذلك الغير.

فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً، ولم يأخذ أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبهاً نظر. **لكن قد ينهى عن هذا، لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة** [1]. كما أمر بصبغ اللحى، وإحفاء الشوارب، مع أن قوله ﷺ: «**غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود**»؛ دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير قصد منا، ولا فعل، بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا. وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية...» إلخ كلامه رحمه الله.

وإذا نظرت إلى هذا التقرير البديع في مسألة التشبه، ثم أعملت النظر في تتبع أصول «التمثيل»، وإلى أي ملة يرجع، وفي أي قومٍ ينتشر، ومن أي بلد وفد إلينا؛ تيقنت حرمته، ونكارته، وقنعت بوجوب هجره وتركه.

* * *

وإذ قد تقرر أن «التمثيل» من عبادات الكفار، ثم صار من عاداتهم، وتقرر ضابط المشابهة عند أهل السنة والجماعة؛ فلا بأس بإيراد بعض الأدلة الصحيحة الصريحة الناهية عن التشبه بالمشركين في كل ما هو من خصائصهم.

فمن ذلك قول الله تعالى:

﴿ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمرِ فاتَّبعها ولا تتَّبعْ أهواءَ الذين لا يعلمونَ﴾. [الجاثية: ١٨]

قال شيخ الإسلام: «وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من

---

(١) إذا كان هذا حكم الشيخ فيما فعله المسلمون والكفار اتفاقاً لا تشبهاً وتقليداً، فما الظن بما فوق ذلك؟ فتنبه!.

هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه .

ولهذا : يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا عظيماً ليحصل ذلك .

ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم، فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها. وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه....» إلخ اهـ «الاقتضاء ١/٨٥» .

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ . [الرعد : ٣٧]

قال شيخ الإسلام : «ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم، وتوابع دينهم؛ اتباع لأهوائهم. بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك .

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتب من قبل فطال عليهم الأمد. . . .﴾ الآية.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية» اهـ «التفسير ٤/٣١٠» .

ومن ذلك ما ثبت عن عمرو بن عبسة أنه قال : «قلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله، وأجهله. أخبرني عن الصلاة. قال ﷺ: «صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار. ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى

يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيءُ فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار» رواه مسلم .

فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت الغروب، معللاً بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه يسجد لها الكفار حينئذٍ .

ووجه الدلالة من الحديث يتبين بعد معرفة ثلاثة أمور:

أولاً: أن كل مؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى.

ثانياً: أن أكثر الناس لا يعلمون أن طلوع الشمس وغروبها بين قرني شيطان.

ثالثاً: أن أكثر الناس لا يعلمون أن الكفار يسجدون لها ذلك الوقت.

إذا تبين هذا، فإن النبي ﷺ نهى عن الصلاة في هذه الأوقات ـ مع استقرار الأمور الثلاثة المذكورة ـ قطعاً لمادة التشبه، وسداً للذريعة».

فإذا كان هذا في عبادة لله محضة؛ فما الظن بمشابهتهم في عبادة وثنية، وطقوس شركية، أو عادة من خصائصهم ـ كما هو الحال في التهنئة ـ لا ريب أن هذا بالنهي أولى، وبالاجتناب أحرى .

ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي غطفان المري قال: سمعت عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه: قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. قال رسول الله ﷺ: «فإذا كان العام المقبل ـ إن شاء الله ـ صمنا اليوم التاسع» قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ .

وروى سعيد بن منصور عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : «**صوموا التاسع والعاشر، خالفوا اليهود**» .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن جبير بن نفير عن عبدالله بن عمرو قال : رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**» .

قال شيخ الإسلام: «علل النهي عن لبسها بأنها : من ثياب الكفار. وسواء أراد أنها مما يستحقه الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك» .

كما أنه في الحديث قال: «**إنهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة**» .

ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير، وأواني الذهب والفضة؛ تشبهاً بالكفار .

ففي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي قال: كتب إلينا عمر - رضي الله عنه - ونحن بأذربيجان :

«... وإياكم والتنعم، وزي أهل الشرك...» هذا لفظ مسلم . وروى أبو بكر الخلال أن حذيفة أتى بيتاً، فرأى شيئاً من زي العجم، فخرج وقال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» .

وقال السواق: كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة. فخرج، فلحقه صاحب الدار، فنفض يده في وجهه، وقال: زي المجوس، زي المجوس»!! اهـ «الاقتضاء ١/٣١٧ بتصرف» .

فإذا كان هذا في مشابهتهم في لباسهم، وأثاث بيوتهم، فماذا يكون حال «التمثيل» الذي هو بهم أخص من الثوب المعصفر .

ومن ذلك ما رواه البخاري عن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته، وتقول: «**إن اليهود تفعله**».

قال شيخ الإسلام ـ لما ذكر الأحاديث الواردة في النهي عن الصلاة في أماكن العذاب:

«فإذا كانت الشريعة قد جاءت بالنهي عن مشاركة الكفار في المكان الذي حل بهم فيه العذاب، فكيف بمشاركتهم في الأعمال التي يعملونها؟» اهـ.

والأدلة على تقرير هذا الأصل كثيرة جداً في الكتاب، والسنة، والآثار، والإجماع، وقد استقصى طرفاً منها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» فيجدر بكل طالب حق أن يكون هذا الكتاب من مقروءاته.

ولو لم يكن في الأدلة المحرمة لهذا «التمثيل» إلا هذا الدليل لكان كافياً في إثبات حرمته قطعاً، وإبطال قول من قال بالجواز تعلقاً بشبه لا تثبت أمام هذا الدليل الجبل، الذي بنى عليه العلماء أحكاماً كثيرة، وأخذوا منه قواعد صلبة، تحكم سير المستجدات في بحر الفقه الإسلامي.

ومن العجب أن بعض القائلين بجواز التمثيل قد منعوا أموراً، لأنها مشابهة للكفار في عاداتهم وتقاليدهم. وهاهم يجيزون التشبه بهم في عباداتهم وشعائرهم...!! فإلى الله المشتكى من هذا المنهج المضطرب، الذي يحكمه السذاجة أو الهوى، وكم قد جنى هذا المنهج البائس على أهل السنة والجماعة، وزعزع قواعدهم الراسية، حتى نال منها المبتدعة، وضربوا بعضها ببعض.

ولقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**». قالوا يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**». أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري.

فصل

الدليل الثاني على تحريم التمثيل

أن التمثيل لا يخلو من حالتين :

* **إما أن يكون أسطورة خيالية**، لا واقع لها، ولا حقيقة .

* **وإما أن يكون واقعة سالفة**، قام بها أشخاص معينون، على سبيل الحقيقة .

وعلى كلا الحالتين فهو حرام، بدلالة الكتاب، والسنة، وإجماع العلماء.

أما الحالة الأولى :

فهي كذب، والكذب محرم. ووجه كونها كذباً أمور منها :

١ ـ تسميةُ القائمين بها بغير أسمائهم .

٢ ـ الانتساب إلي غير الأب الحقيقي .

٣ ـ تقمص شخصية •ير شخصية «الممثل» كقاضٍ ، وطبيب ، وبائع...

٤ ـ الأيمان التي تقع على أمر ماضٍ أو حاضرٍ يعلم كذبه و«تخيله» .

٥ ـ التظاهر بالأمراض والعاهات، أو الجهل، أو الخبال، وقد علم ضده .

٦ ـ الخروج بمظهر الصلاح الكامل، أو الفساد الكامل، أو الوسط. فالأول إن سلم من الكذب فهو تزكية. والثاني إن سلم ـ أيضاً ـ من الكذب، فهو هتك لستر الله .

وهذه الأوجه، وغيرها مما يتضمن الكذب، لا تخلو منها «تمثيلية» قط،

لعدم تصور الإبداع، في غيرها.

فمنع «التمثيل» لهذا الدليل قوي، قوي، فإن النبي ﷺ حرم الكذب، ولم يرخص فيه، إلا في مواضع سيأتي تناولها، وخلاف العلماء في المراد بها.

فعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق**»، وفيه: «**إذا حدّث كذب**». أخرجه الشيخان.

وعن سعد بن أبي وقاص رفعه: «**يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب**». أخرجه البزار. وقال الحافظ: سنده قوي، ورجح الدارقطني وقفه.

شبهة:

قد يقول قائل: إن المشاهدين «للتمثيل» يعلمون أن «الممثل» ليس هو «الممثل» فلا تحصل مضرة، ولا يترتب على ذلك أكل مال مسلم، ولا أخذ حقه.

والجواب: أن الأحاديث الدالة على تحريم الكذب عامة، فلا تخصص إلا بما خصصه الشرع، والصورة المذكورة لم يأت دليل صحيح صريح في تخصيصها، فلا عبرة بالتخمين، ولا وجه للتخصيص. ولو فتح باب الكذب الذي لا مضرة فيه، لامتطاه أناس روّاغون، وحصل به من المفاسد ما لا يخفى.

وقد جاء ما يدل على تحريم الكذب مطلقاً في قول جماعة من الصحابة. ففي «الأدب المفرد» للبخاري و«تهذيب الآثار» لابن جرير، عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئاً ثم لا ينجز له. وفي لفظ: والذي لا إله غيره لا يصلح

الكذب في هزل ولا جد. اقرأوا إن شئتم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾. [التوبة : ١١٩]

وفي سنن أبي داود عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : «**أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً**» .

وفي الصحيحين عن أسماء أن امرأة قالت : يارسول الله، إن لي ضرة، فهل عليّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ قال: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**». وسيأتي الكلام على هذا الحديث مفصلاً إن شاء الله .

وفي سنن أبي داود من حديث عبدالله بن عامر قال: أتى رسول الله ﷺ في بيتنا، وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب. فقالت أمي: ياعبدالله تعالَ أعطيك. فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطه شيئاً، كتبت عليك كذبة**» حسنه العلامة العراقي، والشيخ الألباني .

وقال : وله شاهد من حديث أبي هريرة بلفظ : «**من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه شيئاً، فهي كذبة**» .

قال العلامة الرُّوْياني في «البحر» :

«من كذب قصداً ردت شهادته، وإن لم يضر غيره، لأن الكذب حرام بكل حال...». اهـ .

بواسطة نقل الهيتمي عنه في «الزواجر» ١٩٥/٢ .

ورُوِيَ عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إن أصحاب الشطرنج أكذب الناس ـ أو من أكذب الناس ـ يقول أحدهم : قتلْتُ وما قَتَلَ» .

ومن المعلوم أن أصحاب الشطرنج يعلمون ـ ويعلم المتفرجون عليهم ـ أنهم ما قتلوا أحداً. ومع ذلك قال فيهم علي ـ رضي الله عنه ـ ذلك .

شبهة أخرى :

قد يحتج محتج بقول النبي ﷺ : «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً**» على جواز «التمثيل» لما فيه من الإصلاح العام .

والجواب : أن لفظ الحديث لا يساعد على هذا المحمل. فإن قوله : «بين الناس» يدل على وجود الشحناء والخصومة بينهم، وأن المصلح بينهم يجوز له ـ خاصة ـ إزالة هذا الشجار بالأخف فالأخف، فإن لم يندفع بالصدق، انتقل إلى التعريض أو الكذب. أشار إلى هذا شُرّاح الحديث .

وتخصيص الجواز للمصلح، مع الحالات الأخرى المنصوص عليها، دليل صريح على المنع من استعمال الكذب في غيرها .

هذا على التسليم بأن المراد بالكذب هنا : الإخبار بخلاف الواقع. أما على القول الآخر، وهو أن المراد بالكذب هنا : التعريض، فلا حاجة بنا إلى الجواب عن هذه الشبهة .

والقول بأن المراد بالكذب هنا : التعريض؛ قول وجيه، نصره جمع من العلماء .

قال ابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» :

«والصواب من القول في ذلك عندي : قول من قال : إن الكذب الذي أذن فيه النبي ﷺ في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وعند المرأة، يستصلح به : هو ما كان من تعريض بتجاته نحو الصدق، غير أنه يحتمل المعنى الذي فيه الخديعة للعدو...»، إلخ .

ثم قال :

«... فأما صريح الكذب فذلك غير جائز لأحد في شيء، كما قال عبدالله

ابن مسعود : لا يصلح الكذب في جد ولا هزل. للأخبار التي ذكرتها عن رسول الله ﷺ فيما مضى بتحريمه الكذب» . اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «الرد على البكري» :

«الوجه السابع : أن يقال : هذه الكلمات هي من باب المعاريض، والمعرِّض يقصد معنى، والمستمع يفهم غيره. والكلام مبدؤه عناية المتكلم، ومنتهاه إفهام المستمع، فالمعرض إذا عني حقاً، والمستمع فهم باطلاً؛ كان الكلام صدقا باعتبار...[1] كذباً باعتبار الأفهام .

ولهذا لم يرخص في المعاريض فيما يجب بيانه لمثل البيع والشهادة والإفتاء ونحو ذلك باتفاق، ويجوز للمظلوم التعريض في الأيمان وغيرها .

وأما من ليس بظالم ولا مظلوم ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره : قيل يجوز له التعريض . وقيل : لا يجوز مع اليمين، ويجوز بدونها .

فقول إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿**إني سقيم**﴾ .

قيل : أراد سقيم القلب من كفركم .

وقوله : (**الأخت**) أراد أختي في الدين كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث الصحيح...

وقوله : ﴿**بل فعله كبيرهم هذا**﴾ قيل : إنه قصد تعليقه بالشرط، وهو قوله: ﴿**إن كانوا ينطقون**﴾ .

ومن هذا قول نائب يوسف : ﴿**إنكم لسارقون**﴾ فإن يوسف أمره بالنداء، لكن مراد يوسف : سارقون ليوسف من أبيه وهو صادق فيما عناه...» إلخ. اهـ . ص ٣٧٤ .

---

(١) بياض بالأصل .

وذكر ابن مفلح في «الآداب الشرعية» «أن حنبلاً قال: قال أبو عبدالله: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل. قال: فقلت له: قول النبي ﷺ: «**إلا أن يصالح بين اثنين أو رجل لامرأته يريد بذلك رضاها**». قال: لا بأس به، أما ابتداء الكذب فهو منهي عنه. وفي الحروب كذلك. قال النبي ﷺ: «**الحرب خدعة**».

وكان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها، لم ير بذلك بأساً في الحروب. فأما الكذب بعينه فلا. قال النبي ﷺ: «**الكذب مجانب للإيمان**». اهـ. [١/٢٣].

شبهة أخرى:

قد يقال بأن هذا ليس كذباً، وذلك لأن المشاهدين يعلمون أن الممثل غير الممثل، وإنما هو يحكي أفعاله..

والجواب: أما كون المشاهدين يعلمون أن الممثل غير الممثل، فهذا لا يغير الحكم الشرعي. إذ الممثل يخرج على أنه هو فلان، وليس هو. ولذا فهو يدعي باسم الممثل، فيقال له: يا صلاح الدين، أو ياشيخ الإسلام. فيجيب على أنه صلاح الدين وشيخ الإسلام.

وقد أطلق الله على المنافقين الكذب، وهو يعلم كذبهم، فقال تعالى:

﴿إذا جاءكَ المنافقونَ قالوا نشهدُ إنّكَ لرسولُ اللّهِ واللّهُ يعلمُ إنكَ لرسولهُ واللّهُ يشهدُ إن المنافقينَ لكاذبون﴾ [المنافقون: ١]

فما المانع الشرعي من إطلاق الكذب على رجل تعلم أنه قد كذب؟ وأما كون الممثل يقول: أنا إنما حكيت الممثل، فقد ورد النهي عن المحاكاة، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

شبهة أخرى :

تعلق بعضهم بقاعدة (الوسائل لها أحكام المقاصد) فجوز الكذب هنا لأنه وسيلة إلى الدعوة إلى الله تعالى .

والجواب : إن الوسائل لابد من شرعيتها - واجبة، مندوبة، مباحة - أما إن كانت الوسيلة محرمة فيجب اجتنابها، أو مكروهة فينبغي اجتنابها .

فالخطأ إنما نتج من عدم فهم لفظة : (الوسائل) وإلا لو فهمت على الوجه الصحيح لما حصل إشكال.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «.... قد يكون الشيء مباحاً، ووسيلته مكروهة - كالوفاء بالطاعة المنذورة - هو واجب، مع أن وسيلته - وهو النذر - مكروه منهي عنه .

وكذلك الحلف المكروه مرجوح، مع وجوب الوفاء به، أو الكفّارة. وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة، مكروه، ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة. وهذا كثير جداً.

فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة، تُكره، أو تُحرم؛ لأجلها، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام، ولا مكروه»[1] . اهـ .

* * *

الحالة الثانية من حالات التمثيل :

إذا كان «التمثيل» لواقعة سالفة، فإن وجه تحريمه أمور، منها :

١ - **الكذب** ؛ فإن «الممثل» يقول : هو فلان بن فلان، وليس كذلك. وقد

---

(١) «مدارج السالكين» ١/١١٦.

تقدم الكلام على هذا .

٢ - **التشبع بما لم يعط** ، كأن يتقمص شخصية «صلاح الدين الأيوبي» أو «شيخ الإسلام ابن تيمية»، فيظهر بمظهر القوة والشجاعة، أو العلم والإدراك، وليس هو كذلك .

٣ - **الإفضاء إلى استنقاص الأموات**، وذكر مساوئهم .

وقد ورد النهي عن ذكر مساوئ الموتى. ووجه ذلك أن «الممثل» قد يتنقص أحد الشخصيات، قاصداً الإتيان بتمثيل الواقعة كما كانت، كما هو الحاصل فيمن مثل دور الإمام أحمد، وموقفه من المحنة، حيث قام «الممثل» لدور «المأمون» بسبه، وإهانته. كما قام «الممثل» لدور الجلاد بجلده... إلخ .

٤ - **الغيبة** ؛ ووجه اشتمال هذا «التمثيل» عليها واضح ومنها :

المحاكاة : وهي تقليد شخص لآخر في حركاته وسكناته، على وجه الانتقاص. ووجه ذلك أن «الممثل» يحاكي شخصاً في معايبه الخُلُقيّة أو الخَلْقيّة، ليبرز الواقعة للمشاهدين كما هي .

وقد روى أبو داود - وغيره - عن عائشة رضي الله عنها قالت : .... وحكيت له - ﷺ - إنساناً. فقال: «**ما أحب أني حكيتُ إنساناً، وأن لي كذا وكذا**» .

قال ابن الأثير :

«أي فعلتُ مثل فعله» . اهـ من النهاية [١/٤٢١] .

وقال النووي في الغيبة المحرمة :

«ومن ذلك المحاكاة، بأن يمشي متعارجاً، أو مطأطئاً، أو غير ذلك من الهيئات، مريداً حكاية هيئة من يتنقصه بذلك. فكل ذلك حرام بلا خلاف». اهـ. من الأذكار ص ٤٩٠ .

فصل

الدليل الثالث على تحريم التمثيل

عن أسماء ـ رضي الله عنها ـ أن امرأة قالت : يارسول الله، إن لي ضرة فهل عليّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ : «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور». أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود. ورواه مسلم عن عائشة .

قال أبو عبيد ـ رحمه الله ـ :

«قوله : (المتشبع بما لا يملك) يعني : المتزين بأكثر مما عنده، يتكثر بذلك، ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون للرجل ولها ضرة، فتشبع بما تدعي من الحظوة عند زوجها بأكثر مما عنده لها، تريد غيظ صاحبتها، وإدخال الأذى عليها . وكذلك هذا في الرجال أيضاً» . اهـ ٢/٢٥٣ من «الغريب» .

وقال الحافظ ابن حجر :

«أما حكم التثنية في قوله : (ثوبي زور) فللإشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى : لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذه، وعلى غيره بما لم يعط. وكذلك شاهد الزور : يظلم نفسه، ويظلم المشهود عليه ... ـ إلى أن قال ـ ويحتمل أن تكون التثنية إشارة إلى أنه حصل بالتشبع حالتان مذمومتان : فقدان ما يتشبه به، وإظهار الباطل» . اهـ ٩/٣١٨ من «الفتح» .

وقال الزمخشري :

«المتشبع على معنيين.... والثاني : المتشبه بالشبعان، وليس منه. وبهذا المعنى الثاني استعير للمتحلي بفضيلة لم ترزق، وليس من أهلها...». اهـ من «الفائق». ٢/٢١٧ .

وقال القرطبي :

«وكيف كان - أي تفسير التثنية - يتحصل منه أن تشبع المرأة على ضرتها بما لم يعطها زوجها حرام لأنه تشبه بمحرم». اهـ بواسطة نقل المناوي عنه في «الفيض» ٦/٢٦٠ .

وبعد تبين معنى الحديث من كلام العلماء، نقول: إن دلالته على تحريم «التمثيل» ظاهرة، فإن «التمثيل» تشبع بما لم يعط صاحبه، ولا يصح تمثيل في الدنيا بدون هذا التشبع، إذ التمثيل لابد فيه من محاكاة آخر، كطبيب، أو عالم، أو قائد، أو ناصح... إلخ .

فهو على كل الأحوال والتقادير : تشبع بما لم يعط «الممثل»، فهو داخل تحت مدلول هذا الحديث، والله الموفق والهادي .

* * *

فصل

الدليل الرابع على حرمة التمثيل

أن الغالب على «التمثيل» شوبه بالمضحكات، حتى يسترعي اهتمام الحاضرين، ويرغبهم في متابعته، والحرص على ارتياد نواديه. فيضطر «الممثل» إلى الخروج بزي مضحك، أو التلفظ بما يثير الضحك، وقد علم هو، وعلم الحاضرون أنه كاذب في لبسه ولفظه. فهو داخل في الوعيد الشديد، المعد لمن أضحك الناس وهو كاذب.

روى الإمام أحمد ـ وغيره ـ عن معاوية بن حيدة أن النبي ﷺ قال: **«ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له»**.

وقد سئل **شيخ الإسلام** عن الرجل يحدث بين الناس بكلام وحكايات كلها كذب. فأجاب:

«أما التحديث بأحاديث مفتعلة، ليضحك الناس، أو لغرض آخر، فإنه عاصٍ لله، ولرسوله...». اهـ من «الفتاوى» ٣٢/٢٢٠.

وهو بهذا الفعل قد أوجب رد شهادته قضاءً؛ لأن العلماء نصوا على أن المضحِكَ مردود الشهادة، ساقط المروءة.

قال في دليل الطالب:

«فلا شهادة لمتمسخر [أي مستهزئ] ولا لمن يحكي المضحكات [ومتزيٍّ

بزيٍّ يُسْخَر منه، وأشباه ذلك مما تأنف منه أهل المروءات، لأنه لا يأنف من الكذب، بدليل ما روى أبو مسعود البدري مرفوعاً : «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» رواه البخاري]. اهـ وما بين معقوفين من كلام الشارح «المنار» ٢/٤٨٩ .

وقال النووي في «الروضة» :

«الشرط الخامس - من شروط قبول الشهادة : المروءة، وهي التوقي عن الأدناس، فلا تقبل شهادة من لا مروءة له. فمن ترك المروءة : لبس ما لا يليق بأمثاله ... والمشي في السوق مكشوف الرأس والبدن... أو يكثر من الحكايات المضحكة». اهـ ١١/٢٣٢ .

وقال الدردير في شرح مختصر خليل في مبحث من تقبل شهادته :

«ولم يباشر (سفاهة) أي مجوناً. بأن يكثر الدعابة، ولم يبال بما يقع منه من الهزل» ٤/١٤٧ .

وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «**لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**» .

* * *

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فصل

الدليل الخامس على حرمة التمثيل

ما رواه أبو داود ـ وغيره ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : وحكيتُ له ـ ﷺ ـ إنساناً. فقال : **«ما أحب أني حكيتُ إنساناً، وأن لي كذا وكذا»**.

وقد تقدم بيان دلالة هذا الحديث على تحريم «التمثيل» في الكلام على الدليل الثاني .

قوله : **«وأن لي كذا وكذا»** أي ولو أعطيتُ من الدنيا شيئاً كثيراً بسبب ذلك. فهي جملة حالية، واردة للتعميم والمبالغة. ذكره المناوي ٥/٤١١ .

وقد يقال : إن هذا الحديث وارد على حكاية إنسان معين، فلا يتناول غيره .

فنقول : إن تناوله غير المعين أولى ، لأن محاكاة غير المعين إلى الجنون والخبل أقرب من غيرهما .

وقد تقرر في علم الأصول : أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

وقوله : «إنساناً» نكرة في سياق النفي فتعم المعين وغير المعين، بل هي في غير المعين أولى ـ كما ذكرنا ـ لأن العاقل إذا استولى عليه الغضب قد يحاكي شخصاً أساء إليه انتقاماً. أما غير العقلاء، فالمعهود منهم، محاكاة الخيال، وتمثيل الأحلام .

ولا يرد على هذا الحديث ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود ـ رضي

الله عنه ـ قال : «**رايت النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء يمسح الدم عن وجهه**» .

لأن هذه المحاكاة ليست على سبيل التنقص.

ولأنها محاكاة جزئية، جرى الناس عليها دون نكير ـ إذا لم يرد بها الانتقاص ـ كما تقول ضرب المدرس الطالب ضرباً شديداً هكذا. ثم تشير إلى هيئة الضرب .

وأما أصحاب «التمثيل» فإن محاكاتهم كلية. والفرق بينها وبين الجزئية، أن الأولى مسقطة للعدالة، والثانية ليست كذلك. بدلالة العرف الجاري .

وإذا استدل أصحاب «التمثيل» بهذا الحديث على جواز المحاكاة الكلية، فإننا نطلب منهم أن يمثلوا دور أحد ملوك العصر، أو دور أحد العلماء الموجودين ويقلدوا حركاتهم وسكناتهم الحميدة، لننظر عاقبتهم عند المسؤولين، وسمعتهم عند العامة .

*　　*　　*

فصل

الدليل السادس على حرمة التمثيل

أن هذا «التمثيل» لا يتم، إلا بارتكاب أحدى المخالفات الشرعية - الآتية - أو كلها. وأهله هم أول المنكرين على من فعلها خارج «التمثيل» فما الذي أباحها على منصة «المسرح» وحرمها في غيره؟

فمن هذه المخالفات الشرعية :

١ - الكذب :

وقد تقدم الكلام عليه .

٢ - اليمين الغموس :

وهي التي يحلف بها المرء على أمر ماضٍ ، عالماً كذب نفسه. وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار .

ووجه كون «التمثيل» مشتملاً على اليمين الغموس، أن «الممثل» يحلف - أحياناً - على أنه فعل كذا، أو أنشأ كذا، أو قال كذا؛ وقد علم كذب نفسه.

فما وجه إجازة هذا الفعل له، دون غيره؟

٣ - الانتساب إلى غير الأب الحقيقي، والتبني :

وهذا محظور شرعي، ورد النهي الشديد عنه، كما في قوله تعالى :

﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند اللّه ﴾ [الأحزاب : ٥]

وقول النبي ﷺ : «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر» .

وقوله ﷺ: «من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام».

أخرجاهما في الصحيحين، الأول من حديث أبي هريرة. والثاني من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة ـ رضي الله عنهم ـ .

قال أبو بكر الجصاص ـ رحمه الله تعالى ـ على قوله تعالى :

﴿ أدعوهم لآبائهم . . . ﴾ الآية :

«فيه إباحة إطلاق اسم الأخوة، وحظر إطلاق اسم الأبوة من غير جهة النسب. ولذلك قال أصحابنا ـ الحنفية ـ فيمن قال لعبده : هو أخي لم يعتق . . . ولو قال: هو ابني عتق، لأن إطلاقه ممنوع إلا من جهة النسب، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام». اهـ من «أحكام القرآن» ٣/٣٥٤ .

وقال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ :

«من ادعى إلى غير أبيه : أي من رغب عن أبيه، والتحق بغيره، تركاً للأدنى، ورغبة في الأعلى، أو خوفاً من الإقرار بنفسه، أو تقرباً لغيره بالانتماء، أو غير ذلك من الأغراض» . اهـ من «الفيض» ٦/٤٦ .

وقال الألوسي ـ رحمه الله تعالى ـ :

«فظاهر الآية حرمة تعمد دعوة الإنسان لغير أبيه، ولعل ذلك فيما إذا كانت الدعوة على الوجه الذي كان في الجاهلية. وأما إذا لم يكن كذلك كما يقول الكبير للصغير على سبيل التحنن والشفقة : يابني. وكثيراً ما يقع ذلك فالظاهر عدم الحرمة» . اهـ من «روح المعاني» ٢١/١٤٩ .

ووجه الانتساب لغير الأب، والتبني؛ في «التمثيل» ظاهر جداً. فإن

«الممثل» بقول لممثل آخر لا يمت إليه بصلة : أبي. أو ابني. وهذا داخل في عموم النهي عن ذلك. ولا يقال: يحمل هذا على : التحنن والشفقة، أو على التعظيم والتبجيل. لأن استخدام هذه اللفظة في هذه الأغراض معروف مكانه، إذ يقولها الصغير لمن هو أكبر منه سنا، مرة، أو مرتين، لاظهار احترامه. أو يقولها الكبير للصغير، إظهاراً للشفقة والرحمة. وهذا لا يوجد في «التمثيل» وإنما الذي فيه نسبة فلان لفلان على أنه أبوه الحقيقي، يأمره وينهاه، ويجبره، حتى كأنه والده الصُّلبيّ، وهذا ما نُهي عنه .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

«فأما دعوة الغير ابناً على سبيل التكريم والتحبب؛ فليس مما نُهي عنه في هذه الآية. بدليل ما رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي... عن ابن عباس - مرفوعاً - «**أبُنَيَّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس**» . اهـ بتصرف من «التفسير» ٣/٤٨٦ .

٤ - تغيير خلق الله :

ويحصل ذلك للممثل عندما يتظاهر بالعور والعمى أو الشيخوخة والكبر، أو العرج والشلل، أو يصل بشعره شعراً آخر، أو يضع على وجهه شعراً كأنه لحية، أو يطلي نفسه بالسواد... إلخ .

فكل ذلك تغيير لخلق الله سبحانه وتعالى، نهى عنه المولى جل وعلا في قوله حكاية عن إبليس :

﴿ولأضلنَّهمْ ولأمنينَّهمْ ولآمرنَّهم فليُبتِّكُن آذانَ الأنعامِ ولآمرنَّهمْ فليغيِّرُنَّ خلقَ اللهِ ومنْ يتخذِ الشيطانَ ولياً مِّن دونِ اللهِ فقدْ خَسِرَ خسراناً مبيناً﴾
[النساء : ١١٩]

قال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله تعالى :

«تغيير خلق الله وسوء التصرف فيه : عام يشمل التغيير الحسي... ويشمل سائر أنواع التشويه والتمثيل بالناس الذي حرمه الشرع... ويشمل التغيير المعنوي...». اهـ من «التفسير» ٤٢٨/٥ .

وهل التغيير المنهي عنه ما كان باقياً أم ما كان باقياً وغيره؟

ذهب بعض العلماء إلى أن النهي فيما كان باقياً، لأنه من باب تغيير خلق الله .

والصحيح ـ إن شاء الله ـ أن النهي عام فيما يكون باقياً أو غير باقٍ، لما ثبت في الصحيحين ـ وغيرهما ـ عن عبدالله بن مسعود: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن والمغيرات خلق الله تعالى**» «وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ» .

قال الحافظ : «قوله : «**المغيرات خلق الله**» : صفة لازمة لمن يصنع الوشم والنمص والفلج...». اهـ ٣٧٣/١٠ «الفتح».

ومن المعلوم أن النمص يزول بخروج شعر الحاجب، ولذا تحتاج النامصة إلى معاهدة شعر الحاجب بالمنماص بين آونة وأخرى. وقد وصفها ابن مسعود بتغيير خلق الله.

وقد ذكر المفسرون حديث ابن مسعود المتقدم عند هذه الآية، تفسيراً لها.

قال الطبري : «لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص... إلى أن قال، أو لحية أو شارب أو عنفقة فتزيلها بالنتف... فكل ذلك داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله تعالى...» إلخ. اهـ بواسطة نقل ابن حجر في «الفتح» ٣٧٧/١٠.

فتقرر بهذا أن التغيير يكون فيما يبقى وفي غيره مما يزول(١)، فدخل في ذلك ما يعمله «الممثلون» من تغيير هيئاتهم وألوانهم. والله تعالى أعلم .

وقد وردت أحاديث صريحة في المنع من وصل الشعر بشعر غيره، فعن عائشة أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعط شعرها، فأرادوا أن يصلوها. فسألوا النبي ﷺ فقال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

قال الحافظ ابن حجر على حديث ابن مسعود ـ المتقدم ـ :

«ويستوي في ذلك الرجل والمرأة». اهـ «الفتح» ١٠/٣٧٢ .

وفي فعل «الممثل» بنفسه أشياء مستكرهة، كبعض العاهات، مخالفة لقول النبي ﷺ : «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**». رواه الترمذي وغيره.

٥ ـ الاستهزاء بالدين وأهله :

ويحصل هذا عندما يمثل رجل دور مستهزئ بالدين وأهله، فيحتاج إلى محاكاته فيما يلمز به الدين وأهله. وقد علم شناعة هذا العمل، وغلظ تحريمه. حتى لقد نص بعض العلماء على جعله من المكفرات المخرجة من الدين .

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» :

«ومنها ـ أي المكفرات ـ لو حضر جماعة، وجلس أحدهم على مكان رفيع، تشبيهاً بالمذكرين، فسألوا المسائل، وهم يضحكون، ثم يضربونه بالمخراف .

أو تشبه بالمعلمين فأخذ خشبة، وجلس القوم حوله كالصبيان، فضحكوا واستهزؤوا .

أو قال قطعة من ثريد خير من العلم : كفر .

زاد في «الروضة» : قلت : الصواب أنه لا يكفر في مسألتي التشبيه. انتهى.

ولا يغتر بذلك، وإن فعله أكثر الناس، حتى من له نسبة إلى العلم، فإنه يصير مرتداً على قول جماعة، وكفى بهذا خساراً وتفريطاً...» اهـ .

وما ذكره ـ رحمه الله ـ هو حقيقة التمثيل الذي يعمل الآن، لاسيما في تمثيل دور الاستهزاء، فليعتبر بذلك أهل التمثيل!! .

٦ ـ تمثيل دور الكفرة، والتلفظ بأقوال الكفر :

ويحصل ذلك عندما يمثل الرجل دور أحد الكفرة، فيحاكي أفعاله ويتلفظ بأقواله، وهو مجتهد في إتقان ذلك، متفاعل فيه، كما حصل لبعضهم حين مثل نفسه من أهل الجاهلية؛ فسجد للقبر، بمشهد من الناس. وكما حصل لآخر حين مثل دور رئيس دولة كافر، فسب الإسلام، وصرح بخطره على الحضارة، وتناول من رسوله ﷺ. كل ذلك وقع بحضرة ملأ من الناس. وأمثاله كثير.

ولا شك أن هذا العمل كفر مخرج من دين الإسلام، على أي وجه قام به «الممثل» .

قال تعالى :

﴿ يحذرُ المنافقونَ أَنْ تنزَّلَ عليهمْ سورةٌ تنبِّئهمْ بما في قلوبهمِ قُلِ استهزءُوا إنَّ اللهَ مخرجٌ ما تحذرونَ * ولئن سألتهمْ ليقولُنَّ إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعبُ قل أباللهِ وآياتهِ ورسولهِ كنتمْ تستهزءونَ * لا تعتذرُوا قدْ كفرتُمْ بعدَ إيمانكمْ إنْ نعفُ عن طآئفةٍ منكمْ نُعذِّبْ طائفةً بأنهمْ كانُوا مجرمين ﴾. [التوبة: ٦٤ ـ ٦٦]

روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» وابن أبي حاتم؛ بإسناد لا بأس به عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رجل في غزوة تبوك، في

مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس : كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبدالله بن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول : يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله ﷺ يقول : ﴿«أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم»﴾. اهـ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]

قال الإمام أبو بكر الجصاص على هذه الآية :

«فيه الدلالة على أن اللاعب والجاد سواء في إظهار كلمة الكفر على غير وجه الإكراه . لأن هؤلاء المنافقين ذكروا أنهم قالوا ما قالوه لعباً ، فأخبر الله عن كفرهم باللعب ذلك - إلى أن قال - :

فأخبر أن هذا القول كفرٌ منهم على أي وجه قالوه من جد أو هزل، فدلَّ على استواء حكم الجاد والهازل في إظهار كلمة الكفر». اهـ من «أحكام القرآن» ٣/١٤٢ .

وقال الإمامُ أبو بكر بن العربي على هذه الآية :

«لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً، وهو كيفما كان: كفرٌ. فإن الهزل بالكفر: كفرٌ، لا خلاف فيه بين الأمة.. إلخ». اهـ من «أحكام القرآن».

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في آخر «نواقض الإسلام».

«ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، ونعوذ بالله من موجبات غضبه،

وأليم عقابه» . اهـ .

وقال أيضاً في كتاب «التوحيد» :

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول. وقول الله تعالى :

﴿ولئنْ سألتهمْ ليقولُنَّ إنّما كنّا نخوضُ ونلعبُ ...﴾ [التوبة:٦٥] . اهـ .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لكتاب (التوحيد) مبيناً مراد المؤلف بهذا الباب :

«أي : إنه يكفر بذلك، لاستخفافه بجانب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد .

ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسله، أو بدينه، كفر، ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً». اهـ .

فتبين من كلام هؤلاء العلماء، وحكايتهم الإجماع : أن من تلفظ بكلمة الكفر، ولو هازلاً، فهو كافر. فما هو حال العامل بالكفر هزلاً؟

قال العلامة ابن حجر الهيتمي، عفا الله عنه :

«وقد أجمع السلف والخلف على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم، لبيانها وردها».

وإن كان على وجه الحكايات، والأسمار، والظرف، وأحاديث الناس، ومقالاتهم في الغث والسمين ـ وهو الكلام الجامع لاختلاف الدلالات حسناً وقبحاً، إذ الغث: الهزيل، ونوادر السخفاء، والخوض في قيل وقال، وما لا يعني ـ فكل هذا ممنوع منه، وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض .

وقد سأل رجل مالكاً عمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك : كافر.

اقتلوه. فقال: إنما حكيته عن غيري. فقال مالك: إنما سمعناه منك»[1]. اهـ.

وقد جاءت أحاديث عن رسول الله ﷺ في التحذير من الحلف بملة غير ملة الإسلام، سواء كان الحالف كاذباً أو صادقاً.

ففي الصحيحين ـ وغيرهما ـ عن ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال**» الحديث.

وفي سنن النسائي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً**». صححه النسائي ـ كما في «فتح الباري» ١٠/٥٣٩.

٧ ـ الدعوة ـ غير المباشرة ـ إلى أخلاق هابطة، وصفات مرذولة:

وذلك أن «الممثل» قد يخرج بصورة الحاسد، أو النمام، أو السارق، أو الداعية إلى الفساد..، وغير ذلك من الصور الممقوتة. فيجيد ـ أحياناً ـ في عرض هذا «الدور» الموكول إليه، مما قد يؤثر في بعض المشاهدين ـ لاسيما قليلي الإدراك ـ فيعجب ببهرجته، ويستحسن تصرفه، ويكبر عمله. ولا يلتفت إلى نتيجة «التمثيل» التي تقضي بسوء عاقبة هذا «الممثل».

ومن نظر إلى أوساط «المتفرجين» على هذا النوع من «التمثيل» علم أن أكثر ما يرسب في أذهانهم؛ أدوار المنحرفين، من النمامين، والمحتالين، مما قد يؤدي ـ تدرجاً ـ إلى التساهل بهذه المنكرات، ومن ثم الوقوع فيها. والله أعلم.

٨ ـ الرضا بالمنكر:

فإن «التمثيل» مشتمل على أنواع من المنكرات ـ كما تقدم ـ كالكذب، ووصل الشعر، والاستهزاء، وغيرها.

---

(١) من «الإعلام بقواطع الإسلام» [ج ٢/٣٨٥.ط «الزواجر»].

والسكوت على هذه المنكرات، دليل على الرضا بها، والرضا بالمنكر، والسكوت عليه، منكر لا يجوز إقراره، لما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» .

وفي السنن عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه**» .

فصل

وأما إذا اقترن «التمثيل» بنية العبادة، كمن أقامه يدعو الناس به الى الله تعالى، ويرى أنه بذلك فعل قربة يؤجر عليها؛ فإن تحريمه أشد، والمنع منه آكد، فكما أنه معصية لله تعالى ـ كما سبق شرحه ـ فهو بهذه النية بدعة منكرة شنيعة، تضاهي ما كان عليه اليونانيون الوثنيون، والنصارى الضالون .

وبيان ذلك : أن الدعوة إلى الله تعالى عبادة، كما دل على ذلك القرآن، والسنة، والإجماع، قال تعالى :

﴿ **ومنْ أحسنُ قولاً ممن دَعَا إلى اللهِ وعملَ صالحاً وقال إنني منَ المسلمينَ** ﴾.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حُمُر النَّعَم**» .

وكل عبادة في شرعنا يتوقف قبولها على اجتماع أمرين فيها :

الأول : الإخلاص لله تعالى ، قال سبحانه :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ . [البينة : ٥]

الثاني : متابعة الرسول ﷺ، لحديث : «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

وفي لفظ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، أي : مردود على عامله، لا يقبله الله تعالى .

وقد أجمع السلف على هذين الأمرين، فقالوا: جماع الدين أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع .

قال تعالى :

﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ . [الملك : ٢]

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ : «أخلصه، وأصوبه .

قالوا : يا أبا عليّ؛ ما أخلصه، وأصوبه ؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يقبل .

وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً».اهـ.

والخالص : أن يكون لله تعالى .

والصواب : أن يكون على السنة .

وقال أبو سليمان الداراني :

«ليس لمن أُلهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع منه بأثرٍ، فإذا سمع بأثر؛ كان نوراً على نور». اهـ[1] .

ومن المعلوم بالضرورة : أن النبي ﷺ إنما بعث لأخراج الناس من الظلمات إلى النور .

---

(١) أنظر الحلية لأبي نعيم ، والفتاوى ١١/٥٨٥.

وقد سلك في ذلك مسالك، وسن وسائل، كفيلة بهداية من شاء الله تعالى هدايته من العصاة، والكافرين. ومن المحال أن يبين النبي ﷺ آداب قضاء الحاجة، وما هو أدنى من ذلك، ويدع وسائل الدعوة - التي هي أصل مبعثه وأصل تبليغ رسالته لأمته من بعده - خفية، أو ناقصة، تحتاج إلى تكميل، أو تحسين.

قال تعالى:

﴿اليومَ أكملتُ لكمْ دينكمْ وأتممتُ عليكمْ نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلامَ ديناً﴾ [المائدة: ٣]

وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: **«ما بعث الله نبيا إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»**. وفي السنن من حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: **«فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»**.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ما تركت من شيء يبعدكم من النار إلا وقد حدثتكم به»**.

وقال: **«تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**.

ففي هذه الأحاديث وأمثالها: إخبار النبي ﷺ - وهو الصادق المصدوق - أمته:

أنه ما ترك شيئاً يبعدهم من النار إلا وقد حدثهم به، تحذيراً لهم، وإنذاراً.

وأن الواجب عليهم: التأسي به ﷺ، وبخلفائه الراشدين.

وأن كل ما أحدث في الدين بعدهم؛ بدعة ضلالة، وشر الأمور محدثاتها.

وأن من زاغ عن هذا الهدى البين الواضح فقد هلك.

إذا تبين هذا: فإن التعبد لله تعالى بإقامة هذا التمثيل، منكر من القول

وزور، لما فيه من تشريع ما لم يأذن الله تعالى به في دينه. فهو ـ بهذه النية ـ بدعة يذم أصحابها، ويعرف أن الله لا يتقبلها منهم، وإن كان قصدهم بها العبادة، كما أن الله لايقبل عبادة الرهبان، ونحوهم؛ ممن يجتهدون في الزهد والعبادة، لأنهم لم يعبدوه بما شرع، بل ببدعة ابتدعوها.

ونظير هذا قول شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في جوابه عن «السَّماع»:

«فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك : **إما نشيد مجرد**، نظير الغبار[1] . وإما بالتصفيق، ونحو ذلك :

فهو السماع المحدث في الإسلام، فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ حيث قال :

«**خير القرون: القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» .

وقد كرهه أعيان الأمة، ولم يحضره أكابر المشايخ .

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ : خلَّفْتُ ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن .

وسئل عنه الإمام أحمد ، فقال : هو محدث ، أكرهه. قيل له: إنه يرقُّ عليه القلب ؟ فقال : لا تجلسوا معهم. قيل له : أيهجرون؟ فقال : لا يبلغ بهم هذا كله .

فبين أنه بدعة، لم يفعلها القرون المفضلة، لا في الحجاز، ولا في الشام، ولا في اليمن، ولا في مصر، ولا في العراق، ولا خراسان، ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف» . اهـ [1] .

فتأمل في كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ قوله :

---

(١) الفتاوى ١١/٥٩١ ـ ٥٩٢ .

«نشيد مجرد» وأن من سمعه أراد «صلاح القلوب» .

ثم تأمل حكمه على هذا بأنه «محدث في الإسلام» .

ثم تأمل الدليل على هذا الحكم، وهو أنه إنما «أحدث بعد ذهاب القرون المفضلة» .

ثم تأمل القاعدة العظيمة التي يجهلها كثير ممن ينتسب إلى العلم، وهي قوله:

«ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف» .

ترى - أيها المنصف - أن هذا الكلام ينطبق بجميع أفراده على «التمثيل» المحدث عند المسلمين في الأزمان المتأخرة!؟ .

* * *

فصل

وإذا تقرر ما سبق: فإن وسائل الدعوة توقيفية، لا يحل لأحد إحداث شيء فيها بغير دليل، من الكتاب، والسنة، وعمل السلف الصالح .

قال الشيخ العلامة المحقق بكر بن عبدالله أبو زيد - حفظه الله تعالى - في كتابه «حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية [1]» :

«والأصل في وسائل نشر الدعوة - كذلك - التوقيف على منهاج النبوة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال :

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد» .

وفي لفظ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ» .

---

(١) ص ١٥٧ - ١٥٨، ط ٢. وانظر كتابي: «الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية».

ومن رحمة الله تعالى بعباده، وبالغ حكمته في تشـــريعه لما يصلح الله بـــه العباد والبلاد؛ أنه لما شرع الجهاد، وشرع الدفاع ، وشـــرع الأمر بالمعروف، وشرع تغيير المنكر، وشرع النصيحة، وشرع الدعوة؛ شرع للأمة وسائل متعددة في ذلك، ولم يجعلها إلى عقولهم، بل أحالهم على ما شرع لهم...» اهـ .

فمن دعا إلى الله تعالى بغير هدي النبي ﷺ، وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ فهو مبتدع ضال إن كان صادقاً في الدعوة إلى الله تعالى، وإن كان كاذباً فهو منافق أثيم .

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ هذه القاعدة، في جواب سؤال ورد عليه؛ هذا نصه :

«سئل شيخ الإسلام عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر: من القتل، وقطع الطريق، والسرقة، وشرب الخمر، وغير ذلك .

ثم إن شيخاً من المشائخ المعروفين بالخير، واتباع السنة: قصد منع المذكورين من ذلك؛ فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعاً يجتمعون فيه بهذه النية، وهو بدف بلا صلاصل، وغناء المغني بشعر مباح بغير شبابة .

فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي، ويسرق، ولا يزكي: يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات، ويجتنب المحرمات .

فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه، لما يترتب عليه من المصالح؟ مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا ؟

فأجاب شيخ الإسلام إجابة وافية جلية، بدأها بمقدمات مُسَلَّمة، هذا حاصلها :

أن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله، وكفي بالله شهيداً .

وأنه أكمل له ولأمته : الدين .

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به .

وأخبر أنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث .

وقد أمر الله الرسول ﷺ بكل معروف. ونهى عن كل منكر. وأحل كل طيب وحرم كل خبيث .

وأمر الرسول ﷺ بالتمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين .

ثم قال شيخ الإسلام :

وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب، والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب : «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» ، كما ترجم عليه البخاري، والبغوي، وغيرهما .

فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين.

ثم قال شيخ الإسلام :

إذا عرف هذا : فمعلوم أنما يهدي الله به الضالين، ويرشد به الغاوين، ويتوب به على العاصين :

لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة .

وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول ﷺ لا يكفي في ذلك لكان دين الرسول ناقصاً، محتاجاً تتمة .

ثم قال شيخ الإسلام :

وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله، ولم يشرعه الله ورسوله: فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه .

وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره: لم يُهْمِلْه الشارع، فإنه ﷺ حكيم، لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين .

إذا تبين هذا؛ فنقول للسائل :

إن الشيخ المذكور قصد : أن يتوب المجتمعين على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي: يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية؛ التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها فإن الرسول ﷺ، والصحابة، والتابعين: كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء، من أهل الكفر، والفسوق، والعصيان : **بالطرق الشرعية، التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية .**

فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد علم بالاضطرار، والنقل المتواتر: أنه قد تاب من الكفر، والفسوق، والعصيان؛ من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم : بالطرق الشرعية، التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي .

بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان - وهم خير أولياء الله المتقين، من هذه الأمة - تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية .

وأمصار المسلمين، وقراهم قديماً وحديثاً : مملوءة ممن تاب إلى الله، واتقاه، وفعل ما يحبه الله ويرضاه: بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية.

فلا يمكن أن يقال : إن العصاة لا تُمْكِنُ توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية.

بل قد يقال : إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية، عاجزاً عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة، وما يخاطب به الناس، ويسمعهم إياه، مما يتوب الله عليهم؛ فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية.

إما مع حسن القصد، إن كان له دين .

وإما أن يكون غرضه الترأس عليهم ...

ثم قال شيخ الإسلام :

وقول السائل وغيره : هل هو حلال أو حرام ؟

لفظ مجمل، فيه تلبيس، يشتبه الحكم فيه، حتى لا يحسن كثير من المفتين تحرير الجواب فيه .

وذلك أن الكلام في السماع وغيره من الأفعال على ضربين :

أحدهما : أنه هل هو محرم ؟ أو غير محرم؟ بل يُفْعَل كما يُفْعَل سائر الأفعال التي تَلْتَذُّ بها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو، واللعب؛ كسماع الأعراس، وغيرها، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو، لا لقصد العبادة، والتقرب إلى الله .

والنوع الثاني : أن يُفْعَل على وجه الديانة، والعبادة وصلاح القلوب .... وغير ذلك مما هو من جنس العبادات، والطاعات، لا من جنس اللعب والملهيات .

فيجب الفَرْق بين سماع المتقربين، وسماع المتلعبين، وبين السماع الذي يفعله الناس في الأعراس، والأفراح، ونحو ذلك من العادات، وبين السماع الذي يفعل لصلاح القلوب، والتقرب إلى رب السموات .

فإن هذا يسأل عنه : هل هو قربة وطاعة؟ وهل هو طريق إلى الله؟ وهل

لهم بد من أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم، وتحريك وجدهم لمحبوبهم....؟ كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم على وجه العبادة والطاعة، لا على وجه اللهو واللعب .

إذا عرف هذا ؛ فحقيقة السؤال :

هل يباح للشيخ أن يجعل هذه الأمور التي هي : **إما محرمة، أو مكروهة، أو مباحة** : قربة وعبادة وطاعة، وطريقة إلى الله **يدعو بها إلى الله**، ويتوب العاصين، ويرشد به الغاوين، ويهدي به الضالين .

ومن المعلوم أن الدين له أصلان : فلا دين إلا ما شرع الله[1] ، ولا حرام إلا ما حرمه الله. والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، وشرَّعوا ديناً لم يأذن به الله .

ولو سئل العالم عمن يعدو بين جبلين: هل يباح له ذلك؟ قال: نعم. فإذا قيل له: إنه على وجه العبادة، كما يسعى بين الصفا والمروة؟ قال: إن فعله على هذا الوجه : حرام منكر، يستتاب فاعله، فإن تاب وإلا قتل». اهـ كلامه رحمه الله[2].

والممعن في هذا التقرير البديع، يرى من خلاله إبطال كل حجة تعلق بها المبتدعون في جعل التمثيل وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، ينشدون به إصلاح العباد، وحصول الثواب .

فحجتهم : أن التمثيل يترتب عليه مصالح ، نقضها قول الشيخ : «وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله، ولم يشرعه الله ورسوله : فإنه لابد أن

---

(١) الأصل الثاني من الإخلاص .

(٢) من الفتاوى (١١/٦٢٠ - ٦٣٥). وفي هذه المجلّدة (١١) كلام بديع في هذه القضايا الدعوية، يتعين على الداعية الرجوع إليه، والنظر فيه. أعرضت عن نقله لطوله والله الموفق .

يكون ضرره أعظم من نفعه....» إلخ .

وقال في موضع آخر [١١/٥٩٤] :

«وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم : أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به» .

وأن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله، فإن الله يقول : ﴿اليوم أكملتُ لكمْ دينكمْ وأتممتُ عليكمْ نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلامَ ديناً﴾ .

(وحجتهم: أنه تستجلب به النفوس، نقضها قول الشيخ): «فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء، من أهل الكفر، والفسوق، والعصيان؛ بالطرق الشرعية، التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية...» إلخ .

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر [١١/٦٠١] :

«وأما قولُ القائل : هذه شبكة ـ يشير إلى السَّماع ـ يصادُ بها العوام فقد صدق؛ فإن أكثرهم إنما يتخذون ذلك شبكة لأجل الطعام، والتوانس على الطعام ...

وأما الصادقون منهم : فهم يتخذونه شبكة، لكن هي شبكة مخرقة، يخرج منها الصيد إذا دخل فيها، كما هو الواقع كثيراً....» اهـ .

وعلى كل : فإن جل ما قاله الشيخ في مسألة السماع، ينطبق تماماً على التمثيل المحدث؛ إذا أريد به التعبد. والله تعالى أعلم .

* * *

فصـــل

وقد ذهب بعضهم إلى إجازة هذا «التمثيل»، محتجين بأدلة وآراء، سنذكرها إن شاء الله تعالى [1] ، متحرين الأمانة في النقل، ثم نعقبها بالإجابة عليها، وبيان ضعفها، على وجه الإشارة والاختصار. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الدليل الأول

ثبوت تشكل الملائكة في صور بشر. كما هو الحال في مجيء جبريل لمريم في صورة رجل . وتمثله في صورة دحية الكلبي لنبينا محمد ﷺ . وكما هو الحال في الملائكة الذين أرسلهم الله على صورة أقرع وأبرص وأعمى .

فهذه الوقائع تدل على جواز القيام بمحاكاة الآخرين ، على سبيل الإفادة والتعليم .

والتمثيل هو القيام بمحاكاة الآخرين، للإفادة، فيلحق بها، ويقاس عليها .

الجواب من وجوه :

الأول : أنكم غير قائلين بمدلول هذا الدليل في جميع صور التمثيل، فإنكم تحرمون تمثيل «الأنبياء» و«الصالحين». ومقتضى الدليل ـ على هذا الرأي ـ جوازه، لأن الملائكة مثلوا «الصالحين» ـ وهم أفضل منهم على الصحيح ـ فيلزم على ذلك جواز تمثيل المفضول للفاضل. فلماذا يمنع تمثيل «الأنبياء»

---

(١) تنظر هذه الأدلة في: «الشريعة الإسلامية والفنون» للأستاذ مصطفى القضاة.

و«الصالحين»؟ وحيث قلتم بالمنع، فإن هذا دليل على ضعف حجتكم، وعدم صحة الاستدلال بها .

الثاني : أن تشكل هؤلاء الملائكة إنما هو بأمر الله لهم. ولم يأمرنا الله سبحانه بذلك، ولا أمرنا ـ أيضاً ـ بالاقتداء بهم في ذلك .

الثالث : أن تشكل هؤلاء الملائكة حقيقي، بحيث إنهم أوتوا القدرة على الظهور في قالب آخر، غير قالبهم، فها هم ضيف إبراهيم ملائكة، ولكن من رآهم قال: هم بشر، ولذا سارع إبراهيم إلي تقديم الأكل لهم، وهذا هو جبريل ـ الذي رآه النبي ﷺ على حقيقته ساداً الأفق له ستمائة جناح ـ يخرج في صورة دحية الكلبي ، حتى إن الرائي ليظنه هو، دون تفريق .

أما التمثيل فإنه تشكل وهمي مكشوف، وطاقته محددة، يعلم الرائي تصنعه، ومضاهاته لخلق الله سبحانه وقدرته ـ ولعل هذا وجه في التحريم ـ وبهذا الوجه والذي قبله يعلم بطلانُ القياس، لعدم وجود أصل صحيح يقاس عليه .

الرابع : أنه قياس لعالم الشهادة على عالم الغيب، وهو ممنوع. وهذا وجه آخر في إبطال هذا القياس .

الدليل الثاني

قياس التمثيل على الأمثال المضروبة، والتشبيهات الواردة في الكتاب، والسنة. مثل قوله تعالى :

﴿لو أنزلنا هذا القرءانَ علَى جبلٍ لرأيتهُ خاشعاً متصدعاً مِّنْ خَشيةِ اللّهِ﴾
[الحشر : ٢١]

وقوله تعالى :

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ [الكهف: ٤٥]

الجواب من وجوه :

الوجه الأول : أنكم استدللتم بهذه الأمثال القولية المضروبة ، والتشبيهات القولية المذكورة، على جواز «تمثيلكم» ومنعتم تمثيل الأنبياء والصحابة والملائكة ؛ فما الذي أخرجهم عن الدخول في أفراد هذا الدليل؟

إن قلتم : لعلو قدرهم، وشرف ذواتهم، وخشيةً من انتقاصهم .

قلنا : وهذا هو الحال في علماء الأمة، وقادتهم المخلصين ، فإن حرمتهم كبيرة، ومكانتهم عالية، بنص القرآن، والسنة، وكلام الصحابة، وعلماء الأمة.

الوجه الثاني : أن هذا القياس فاسد الاعتبار، لأنه في مقابلة نص عام يندرج تحت أفراده : التمثيل .

هذا النص هو النهي الصريح عن مشابهة المشركين في عاداتهم بله عباداتهم .

وقد تقرر أن «التمثيل» عبادة وثنية يونانية، وطقوس كنيسية نصرانية، فينصب النهي عن مشابهة المشركين على هذا «التمثيل» بل هو أولى من النهي عن مشابهتهم في زيهم وهيئاتهم .

وإذا كان النبي ﷺ نهى عن الصلاة لله في وقت يسجد فيه المشركون لآلهتهم، فما بالك بمشابهتهم في طقوس العبادة التي يتقربون بها إلى معبوديهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى :

«وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت الغروب؛

معللاً ذلك النهي بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار .

ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله .

وأكثر الناس قد لا يعلم أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها. ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة». اهـ .

فإلى المُذيبينَ لجريمة المشابهة، المتعلقين بخيوط العنكبوت لإيهانها، نقول :

لا حيدة لكم عن القول بأن «التمثيل» مأخوذ من الكفار، وليس هو من عاداتهم ـ حتى تلوذون بحججكم المعهودة ـ بل هو من عباداتهم وشعائرهم، وأنتم شابهتموهم في هذا العمل تماماً، إذ اقتبستموه منهم، ثم جعلتموه عبادة لله، تتقربون إلى الله بإقامتها، وتعدونها من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تأثيراً. ثم ترجعون إلى تلمس الحجج الغامضة الملوية لتقيمونها مبرراً لهذه المشابهة المشؤومة ، المجمع على تحريمها. إن هذا لهو الضلال المبين، والجهل المشين .

الوجه الثالث : ما قاله العلامة الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ في رد الشبهات حول إباحة التمثيل :

«وأما قياسه على ضرب الأمثال في الكتاب والسنة فهذا قياس مقدوح فيه بقيام الفارق بين المقيس والمقيس عليه، إذ الأمثال قولية، وأما (التمثيليات) فهي فعلية تمارس بالذوات، فكيف يقاس هذا على هذا مع عدم تطابقهما. فثبت فساد القياس...» اهـ .

* * *

الدليل الثالث

قيام الصحابي الجليل محمد بن مسلمة بدور الصديق المقرب لكعب بن الأشرف الكافر، وذلك أثناء قتله .

وكذا قيام الصحابي نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب بدور الصديق الناصح والموالي للقبائل التي تحزبت ضد المسلمين، وتمثله الابن البار، والولي المخلص لبني قريظة، وتصوره وقيامه بدور الناصح الأمين لقريش وغطفان، والمحرض القوي لمقاتلة محمد ﷺ.

الجواب : أن هذه الوقائع وأمثالها إنما هي في مجال الحرب ، ومقاتلة الأعداء، وقد قام الدليل على تخصيص الحرب بمثل هذه الحيل ، وأكبر منها، وذلك في قوله ﷺ : «**الحرب خدعة**» .

هذا آخر ما تيسر جمعه حول هذه القضية. والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين .

* * *



الفهرس العام

الموضوع ... الصفحة

*   *   *

صدر حديثا عن دار الفتح

الكتاب	المؤلف
صلاة الفجر في حياة المسلم	سمير القرني رزق
الأمنية في إدراك النية	القرافي المالكي
الحياة البرزخية في الإسلام	حسن بن خالد
من أخلاق الرسول الكريم ﷺ	عبد المحسن العباد
حقيقة إخوان الصفا	محمود الملاح
القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى	ابن عثيمين
ضحية معاكسة	سالم العجمي
شبابنا إلى أين	سالم العجمي
هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين	الخجندي المعصومي (محقق)
جماع العلم	الإمام الشافعي (محقق)
المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء	د. ربيع بن هادي المدخلي
الفرقان في حكم ختان البنات والصبيان	عبد المنعم إبراهيم
الصفات الإلهية بين السلف والخلف	عبد الرحمن الوكيل
دعوة التوحيد	محمد خليل هراس
اعتقاد أئمة أهل الحديث	الإمام أبي بكر الإسماعيلي (محقق)
تحفة الأخيار	عبد العزيز بن باز
الأربعون النووية	الإمام النووي
موقف الإمام مالك من العقيدة السلفية	عبد الرحمن المغراوي
الفوائد الجلية في المباحث الفرضية	للشيخ /عبد العزيز بن باز
الطريقة السلفية لإصلاح الأمة الإسلامية	عبد الله السبت
كيف اهتديت	محمد بن جميل زينو
مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية	محمد بن عبد الوهاب
رسالة طاهر بن الحسين إلى ولده	تحقيق ضياء الدين شهاب الدين
التحفة العراقية في أعمال القلوب	ابن تيمية (محقق)
الدر النقي من كلام البيهقي عن الرجال	حسين كلداري
الوهابيون والحجاز	محمد رشيد رضا
سجود السهو	ابن عثيمين
الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون (محقق)
الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه	أحمد بن حجر آل بطامي
ايقاف النبيل على حكم التمثيل	عبد السلام بن برجس

تحت الطبع عن دار الفتح

الكتاب	المؤلف
معارج الوصول	ابن تيمية (محقق)
العذر بالجهل	شريف هزاع
رياض الصالحين	الامام النووي (محقق)
المصحف الشريف (اجزاء)	---
المصحف الشريف (حجم صغير)	---
حكم الدخان والتدخين	محمد بن جميل زينو
تفسير ابن كثير ١/٤	للحافظ ابن كثير (محقق)
الرسالة	للشافعي (محقق)
تيسير الكريم الرحمن ١/٧	عبد الرحمن السعدي(محقق)
فضل الصلاة على النبي	عبد المحسن العباد
صفة حجة النبي	محمد بن جميل زينو
الفصول في سيرة الرسول	ابن كثير
مجموعة التوجيهات الإسلامية	محمد بن جميل زينو
فتح الغفور بتضعيف حديث السفور	خالد بن علي بن محمد العنبري
ديوان الهلالي	محمد تقي الدين الهلالي
طريق الدعوة إلى الله	محمد تقي الدين الهلالي
القياس في الشرع الإسلامي	ابن تيمية ــ ابن القيم
القواعد النورانية الفقهية	ابن تيمية (محقق)
لباب الآداب	لأسامة بن منقذ
مفتاح دار السلام	حافظ بن احمد حكمي
منار السبيل مع تخريج الارواء	ابراهيم بن الصويان (محقق)
اليزيدية (عباد الشيطان)	أحمد تيمور باشا
البيان والتبين	للجاحظ
تصحيح خطأ تاريخي	محمد سعد الشويعر
مختارات من النظرات	للمنفلوطي

